ممدوح عدوان

الفارسة والشاعر

مسرحية

تكريماً لمحمد الماغوط

رياض الريس للكتب والنشر
RIAD EL-RAYYES
BOOKS

THE FEMALE KNIGHT & THE POET

By Mamdouh Idwan

First Published in May 2002

BEIRUT- LEBANON
info@elrayyesbooks.com • www.elrayyesbooks.com

ISBN 97 89953 21080 3

تصميم الغلاف: محمد حمادة
الطبعة الأولى: أيار/ مايو ٢٠٠٢

الشجرة قصيرة.. والظل طويل..
إنه الغروب
محمد الماغوط

تكريم الماغوط

بدأ الأمر ونحن في لجنة القراءة في مديرية المسارح. وكنت ومحمد الماغوط عضوين فيها. وقُدم اقتراح حول إعداد مسرحيته القديمة «العصفور الأحدب». وحين سئلت عن رأيي، قلت إنني أتذكر المسرحية التي نشرت في الستينيات. وأذكر أن انطباعي عنها كان أنها تحتوي على قدر هائل من الشعر، ولكن الجانب المسرحي فيها ضعيف. فقال الماغوط إنه لا يوافق على التدخل في مسرحيته، حتى من قبيل الإعداد، إلا إذا قام ممدوح ـ أنا ـ بذلك.

أخرجتُ المسرحية وأعدت قراءتها، فتأكد انطباعي الأول القديم. إن النص قصيدة عظيمة متعددة الأصوات،

وليست أكثر من ذلك. وإن إعدادها مسرحياً يعني التضحية بهذا الشعر وإدخال حواريات أخرى درامية وغير شعرية بالضرورة.

وعدت إلى اللجنة باقتراح هو أن آخذ من المسرحية مشهد المحاكمة وحده وأحوله إلى مسرحية. ولكن مرة أخرى لم أكمل تنفيذ اقتراحي. وقد شبهت محاولتي تلك بعملية تحويل اللبن إلى عيران. وهذه العملية تتم بإضافة كمية كبيرة من الماء إلى اللبن. هذا هو العيران المرتجل في منازل المدينة، أما العيران الحقيقي عند الفلاحين فلا يكتفي بذلك. بل يبدأ بتخليص اللبن من دسمه (سحب الزبدة منه) ثم إضافة كميات الماء إليه.

ثم قلت في نفسي: ولماذا نسحب خير القصيدة؟ ألكي نحولها إلى مسرحية؟ ولماذا نقسر القصيدة على أن تكون مسرحية؟ ولماذا نقسر النوع أن يتغير إلى نوع آخر؟ فلتبق القصيدة قصيدة. ولنكتب نصاً مسرحياً جديداً.

ولكن لم يعد من السهل التخلص من سيطرة النص الأول (العصفور الأحدب) بعد قراءته مرات عديدة ومحاولة تحويل مقطع أو آخر منه إلى مشهد مسرحي.

وفي هذا الحين حدث أمران. الأمر الأول هو أنني، وأنا أناقش نفسي حول عدم ضرورة تغيير النوع لكي أتراجع عن الإعداد، تذكرت فكرة مسرحية لدي كنت قد أجلت كتابتها. وهي عن شخص يوصله جبروته إلى الثقة

في قدرته على تغيير النوع: ولذلك فإنه يريد تغيير ابنته إلى رجل. فقلت: هذه هي المسرحية.

والأمر الثاني أن الماغوط كان قد دخل في تلك المرحلة حالة من الاكتئاب، مردها إلى تأثر كبده بكميات الشرب التي كان يشربها. فلم يعد يغادر بيته، أو يكلم أحداً. وحين زرته في بيته مع السيدة عبلة الرويني، التي كانت تريد أن تجري مقابلة معه لمجلة «أخبار الأدب» المصرية، آلمني الوضع الذي هو فيه: بيت غير مضاء. ورجل ممدد على أريكة وأمامه الكأس وأكوام من الأدوية، واستسلام للشعور بالشيخوخة (فلم يعد يضع حتى بذلة أسنانه في فمه)، وضيق بالآخرين. حتى يئست السيدة الرويني من إمكانية إجراء الحوار معه. ولكن بعد الاتفاق على عدم وضع مسجلة أو الإمساك بقلم، بل الاكتفاء بالدردشة التي ستخرج منها الرويني بانطباعات تكتبها، وبعد مشاركتي له بكأس، مع سيل من التنكيت الذي أتقنه، انفرجت أساريره وراح يضحك ويحكي هو الآخر بعض النكات فأمكن إجراء الحوار ـ الدردشة.

وحين خرجنا من بيته كنا مكتئبين بسبب وضعه هذا. وقررت أن أكتب نصي المسرحي وأن أدخل شخصية «الشاعر» فيه. وهذا الشاعر هو محمد الماغوط. وسيكون النص مخصصاً لعرض تكريمي لشاعر يستحق منا كل تكريم.

وكان هذا يعني عدم الاكتفاء بـ«العصفور الأحدب» بل

العودة إلى كل ما كتبه الماغوط لانتقاء الجمل التي سيقولها الشاعر في المسرحية.

وقد تطلب هذا مني أن أدخل في شخصيته نفسها (ليست شخصية الرجل محمد، بل شخصية الشاعر من خلال تقمص أسلوبه في الكتابة لكي يظل الحوار في النص منسجماً ومؤتلفاً). ورأيت أنني أفعل ما يفعله الممثل الذي يحاول التماهي مع الشخصية التي يمثلها. إنه يدخل في الشخصية ولكنه يظل هو. أي أنني أردت تبني أسلوب الماغوط دون أن أتخلى عن أسلوبي. إنه الشيء الذي يسميه النقاد الجدد «التناص»، ولكنني أردت أن أضيف كلمة «التلاص» أيضاً. فأنا قد سطوت فعلاً على أشعار الماغوط وأدخلتها في النص.

وفي النهاية أوصلني إلى الارتياح مع نفسي، بعد الانتهاء من الكتابة، أن بعض الذين استشرتهم في المخطوطة قالوا لي: لم نكن قادرين على التمييز بينك وبينه، ولولا أننا نحفظ بعض الأشعار التي أوردتها له لما عرفنا أين حوارك وأين حواره. فهل كان هذا إطراء أم تأنيباً؟

ولكن الأمر الأكثر أهمية هو أن الماغوط الذي أعطيته نسخة من النص وقرأ عليه ابن أخته (الطبيب) بعض مقاطعها ـ كما قال لي الماغوط نفسه ـ قد ارتاح للنتيجة، حتى أنه صار يتصل ليسألني عما حدث للمسرحية، ومتى سيكون العرض، ومن هو المخرج؟ ويقترح عليّ أن أنشرها عند هذا الناشر أو ذاك.

واعتبرت أن الخطوة الأولى من التكريم قد تحققت. وهي إدخال شيء من السرور إلى قلبه ومعرفته أن الأجيال التالية عليه شعرياً تعترف بقيمته وتقدره ولا تنكر فضله.
على أية حال ها هي النتيجة بين يدي القارئ. ومن البديهي أن الاعتراف بالتناص والتلاص سيأتي أيضاً في النشرة المرافقة للعرض (البروشور) لكي يكون الجمهور على بينة. ولكي يكون الجمهور واثقاً من أن الهدف هو تكريم هذا الشاعر الكبير الذي هو نسيج وحده، والذي، أكرر، يستحق منا كل تكريم واعتراف بالجميل على مساهمته الكبيرة في تغيير ذائقتنا الشعرية خلال النصف الثاني من القرن العشرين.

لا زمان/ كل زمان: منذ اكتشاف النار حتى ما بعد تنسيق الكومبيوتر.

المكان: حيث توجد غابة وقصر وقرية فقيرة.. وإمكانية الحديث عن وجود سجن سابق.

المشهد الأول:

«تنطلق الأصوات في البداية على منصة معتمة غير واضحة المعالم. لكن هيكل صبية ـ هي الأميرة ـ يبدو وكأنها تنصت إلى الأصوات من نافذة ـ الأصوات تتبع أحدها الآخر وكأنها تتناوب حكاية قصة».

صوت: رحلنا عن قرانا وعن ينابيع الجبال.
آملين أن نلتقي بنار أو عاصفة في الطريق.

صوت: حتى العاصفة أفضل من هذا الجفاف الساكن
الشبيه بالأفاعي الميتة.

الأصوات مجتمعة: كلٌّ كيسه على ظهره
كلٌّ بيته على ظهره

الأحلام خفيفة كالعصافير

والذكريات جميلة وراسخة كالنجوم.

الـزوجة: (وهي تظهر بين مجموعة من القرويين كالتائهة وبملابس مهترئة وشعر أشعث وهي حـافية وشبه عارية بسبب تمـزق مـلابسها فيما يختفي شبح الأميرة):

آه.. ما نفع الأنف دون ربيع؟

والذراع دون خصر؟

والفم دون قبل؟

الجد: هيا يا رجال.

تسلموا دروب الهجرة والتشرد.

ضعوا مناديلكم على رؤوسكم

واعقدوها جيداً كالنساء الصغيرات

فالشمس لاهبة والطريق تزفر كالأفعى.

الجدة: (للزوجة) اذهبي بالسنابل يا امرأة

اذهبي وواجهي العالم بها

قولي لهم إن قلوبنا صارت أكثر جفافاً.

الأصوات مجتمعة: سنذهب كلنا.

الزوجة: إلى أين؟ حددوا لنا هدفاً.

الجدة: اذهبوا إلى الله فهو الذي خلقكم. وهو المسؤول عنكم.

الزوجة: الله دفعة واحدة؟ إننا لا نستطيع أن نرى رئيس المخفر وأنت تتوقعين أن نرى الله؟

الجد: نـذهـب إلـى الملك. هـو ظـل الـله عـلـى الأرض. وهـو المسؤول عنا. يجب أن نجتمع عند بابه ونجعل خشب

الأبواب يتذكر اخضراره ويبحث عن دموع يذرفها علينا.

الزوجة: ولكن الحراس قساة. قد لا يسمحون لنا بالاقتراب من القصر.

الجدة: اصرخوا، واسمحوا لأطفالكم بالبكاء. الصراخ والبكاء يصلان إلى الله. ألا يقتحمان أسوار القصور؟ **(يمشون خارجين).**

الزوجة: الأهداب الجميلة تغني.

والدموع الرائعة تتأهب للانفجار.

الأصوات مجتمعة: كلٌّ كيسه على ظهره

كل بيته على ظهره

الأحلام خفيفة كالعصافير

والذكريات جميلة وراسخة كالنجوم.

صوت الشاعر: يا أهلي.. يا شعبي..

يا من أطلقتموني كالرصاصة خارج العالم

لقد نسيت شكل الملعقة وطعم الملح.

نسيت ضوء القمر ورائحة الأطفال.

في هذه الأرض النائمة كالطفل..

في هذه الأرض المحدودبة كالجزار..

أريد أن آكل وأشرب وأموت

إنني مسرع كغيمة أصيبت بالجرب

كموجة وحيدة مطاردة في البحر.

(يختفي الجميع. وتظل الزوجة وحدها. فيما تبدأ غابة بالتوضح حولها).

الزوجة: أيتها الغابة التي نورتِ في جسدي.
لا تخافي.
لقد خبأت روحي فيك.
أيتها الغابة التي أشعلها جسدي،
اقتربي،
تجاوزي ما لا يمكن تجاوزه.
اطمسي حفيفك الدفين في فمي،
في أذني،
في مسامي كلها.
وأزهري في جسدي المتهاوي.

(عواء ذئاب)

الزوجة: نحن والذئاب ننام.
ومثلها نموت.
يا لهذه العدالة.
ويا لهذه المساواة. **(تدخل الغابة).**

(الحارس وضابط يخرجان من غابة).

الحارس: تأخرا. ما الذي جرى لهما اليوم؟

ضابط: هذه مطاردة ذئب. قد تستغرق وقتاً طويلاً. أظن أننا نستطيع أن نذهب.

الحارس: قبل أن ترجع الأميرة؟

ضابط: هو قال إننا نستطيع أن نذهب عند الغروب إذا لم يرجعا. لعلهما طاردا الذئب حتى الطرف الآخر من الغابة.

الحارس: لو جلبنا معنا زوادة. لقد بدأت أجوع.

ضابط: فلنذهب إذن ونلحق العشاء مع عيالنا. **(يمشيان)**

الحارس: هل نستطيع أن نتحدث بصراحة؟

ضابط: **(يتلفت حوله بحذر)** ولم لا نتحدث بصراحة؟ مم نخاف؟

الحارس: ما معنى إطلاق ذئب في الغابة ثم مطاردته؟

ضابط: هذا تدريب للأميرة. بعد التدرب على مطاردة المساجين الهاربين جاء دور مطاردة الذئاب.

الحارس: هذا التدريب كله لبنت صغيرة. ما الذي يتوقعونه منها؟

ضابط: أن تتقن القتال. أليس كذلك؟ **(هامساً)** الملك يراهن أنه سيجعلها رجلاً.

الحارس: رجلاً؟ و.. **(يتلفت حوله)** وتتبول واقفة؟ **(يضحك وحده)**. كيف سيصنع منها رجلاً؟ **(الضابط لا يرد)** هل تصبح المرأة رجلاً بحبسها في حصن منعزل فلا ترى إلا مدربها ومربيتها؟ **(الضابط يظل يتلفت حوله دون أن يعلق)** هذه أول مرة أراها فيها. سمعت عنها الكثير. إنها ستصير امرأة حقيقية. لماذا يحبسها ويعزلها ليصنع منها رجلاً؟

ضابط: أقفل هذا الحديث. جاء متطفلون. **(ويشير بيده إلى الأعلى واليمين).**

الحارس: مَن هناك؟ لا أرى شيئاً.

ضابط: **(يتطلع في الاتجاه نفسه)** طار.

الحارس: تقصد العصفور؟

ضابط: طبعاً. لو سمعنا لخرب بيوتنا. ألا تعرف كم العصافير ثرثارة؟

الحارس: تقصد الزقزقة؟

ضابط: أنت تتوهم أنها زقزقة. هي في الحقيقة تقارير تقدمها العصافير عن البشر.

الحارس: أنت تعرف أكثر مني. يجوز. يجوز أنهم شغلوا العصافير مخبرين (يضحك) ولكن لمن تقدم هذه التقارير؟ لأزواجها؟

ضابط: لا تكن مغفلاً. لديهم في القصر من يفهم لغة الطير.

الحارس: طيب.. ولكن هل تفهم الطيور لغة البشر؟

ضابط: ما لك ولهذا الكلام يا أبله؟ لا تنم بين القبور..

(يدخل الشاعر حافياً من الطرف الآخر وهو يحمل صرة كبيرة).

ضابط: **(الذي يراه أولاً)** ألا يفهم هذا لغة البشر؟ **(يراقبانه بصمت).**

(الشاعر يجلس متعباً ويضع صرته إلى جانبه).

الحارس: لا بد أنه لص جاء يخبئ ما سرقه في الغابة.

ضابط: سنرى. **(يبتسم بخبث)** ألا نخبئها له؟ مساعدة إنسانية. **(ينهض)** ألم نقل إنه يفهم لغة البشر؟

(يقتربان منه).

ضابط: ماذا تفعل هنا أيها المتشرد المشبوه؟

الشاعر: أبحث عن مكان آمن أنام فيه.

ضابط: أليس عندك بيت تنام فيه؟

الشاعر: لا.

الحارس: وما الذي تحمله معك في هذه الصرة؟

الشاعر: وطني.

(يتبادلان النظر مندهشين).

الحارس: وطنك؟ وطنك في صرة؟ أي وطن صغير هذا؟

الشاعر: لا يا سيدي. ليس لأنه صغير. الوطن يصلح لأن ينضغط في أماكن صغيرة. وأصغر من ذلك بكثير.

الضابط: أصغر من الصرة؟

الشاعر: طبعاً. في القلب مثلاً، وأحياناً في بؤبؤ العين.

الحارس: **(يضحك)** ولماذا تحشره وتضيق عليه؟ انظر ما أوسع الدنيا.

الشاعر: الوطن ينضغط حين نريد أن نصونه. ولكنه حين يستباح يضيق هو أكثر من حبل المشنقة.

ضابط: ولماذا جئت تنام هنا؟

الشاعر: وطني لم يعد يتسع حتى لنومي.

ضابط: **(يشد الصرة بقوة)** سنرى ما يخبئه عنا وطنك هذا. **(ويقذف بها للحارس).**

الشاعر: **(يحاول أن ينهض لاستعادة الصرة).**

ضابط: **(وهو يمسك به)** إياك أن تعيق عمل الدولة. حدثني بكلام مفهوم إلى أن ينهي مأموريته. أليس لك وطن غير هذه الصرة؟

الشاعر: لا.

ضابط: **(يشير إلى ما حوله)** وهذا كله، أليس وطنك؟ هذه الطبيعة الغناء، والبرية النضرة والسماء الصافية.. أليست وطنك؟

الشاعر: لا.

ضابط: ألا تشعر برابطة مع هذا الوطن؟ مع هذه الأرض؟

الشاعر: لا شيء يربطني بهذه الأرض إلا الحذاء. وقد صرت بلا حذاء كما ترى.

ضابط: والحرية؟

الشاعر: اندكّت آخر معاقل الحرية في خواطري.

ضابط: من أين أنت قادم؟

الشاعر: من السجن.

ضابط: وما كانت تهمتك؟

الشاعر: أي شيء موجود في دفاترهم.

ضابط: وكيف أخرجوك؟ تأكدوا من براءتك؟

الشاعر: لا. ازداد عدد المساجين فأخرجوني لأنهم ملوا مني.

الحارس: هذا هو السبب فقط؟

الشاعر: وتأكدوا أنه لم يبق في ذاكرتي إلا الخوف. وهم واثقون أنه لا مستقبل لي إلا عندهم. وعدوني بإعادتي إلى السجن فور توفر أي شاغر.

ضابط: وما الذي يضمن لنا أنك لست جاسوساً؟

الشاعر: لا أعرف. لا شيء يضمن.

ضابط: هل انتبهوا إلى أحاديثك السياسية؟ هل سألوك عنها؟

الشاعر: وهل تظن أنهم سجنوني لأنني أخطئ في الإملاء؟ أو لأنني أنشّز في الغناء؟

ضابط: لماذا إذن؟

الشاعر: زادت عندهم بعض التهم السياسية فوزعوها علينا بالعدل.

ضابط: وماذا كانت تهمتك؟

الشاعر: نسيت. ذكرني بواحدة. أية واحدة. لا يهم.

قل لي: هل أنت وحدوي؟

الشاعر: أنا أكثر الناس وحدة في الأمة كلها. فأنا وحدي دائماً.

الضابط: لماذا؟

(تطفأ الإضاءة على الضابط والحارس).

الشاعر: **(وقد صار وحده في البقعة الضوئية.. يتحدث كأنه وحيد في الغابة)** لأن كل شيء وحيد في هذه الدنيا. حتى في أكثر الغابات كثافة، وفي أشد العواصف جنوناً وهيجاناً لم تعد ترى شجرة تحتكّ بشجرة، أو غصناً يلامس غصناً. صاروا يمنعون حتى الدفن في حفر جماعية لأن التجمعات ممنوعة. كنا نصلي متلاصقين لكي لا يمر بيننا الشيطان. الآن صرنا نشتهي مجيء الشيطان لكي نتعانق. إننا نتعانق الآن متباعدين فيعصف بيننا الرعب والغربة. كنت في صغري أحلم بأن أستعيد فلسطين. الآن لم أعد أريد إلا من يقول لي: مرحبا يا جار. بالأمس كدت أصافح جملاً وأسأله عن صحته وصحة عياله. لقد أضعت زوجتي وأطفالي. لم أترك مكاناً إلا بحثت عنهم فيه. بحثت عنهم في كافة أرجاء الغابة فلم أجدهم. وأخيراً هربت إلى هنا.

(تعود الإضاءة إلى طبيعتها، والمشهد إلى واقعيته).

الضابط: **(يضحك)** هل أنت سكران؟

الشاعر: لماذا يا سيدي؟

الضابط: تقول إنك كنت تبحث في الغابة ثم جئت إلى هنا.

الشاعر: صحيح يا سيدي. ما علاقة السكر بكلامي هذا؟

الضابط: أنت قادم من المدينة نحو الغابة، وليس العكس.

الشاعر: **(يتلفت حوله)** الغابة؟ أتظن أن هذه هي الغابة؟

الضابط: طبعاً.

الشاعر: لأن فيها أشجاراً؟ لا يا سيدي. ليست الأشجار هي التي تحدد الغابة.

الضابط: ما الذي يحددها إذن؟ كيف تعرف أنك في غابة أم لا؟

الشاعر: من القانون يا سيدي. القانون الذي يحكم الناس يحدد ما إذا كانوا يعيشون في غابة أم لا.

الضابط: كلامك عجيب. وتقول إنك قد هربت من الغابة إلى هنا. لماذا؟

الشاعر: **(يتابع)** قيل لي إن أبناء القرى كلهم سيجيئون إلى المدينة يعرضون شكاواهم على الملك. وأنا أريد أن أشاركهم. هربت إلى هنا خوفاً من أن تتلبسني تهمة قبل وصولهم.

الضابط: كيف يمكن أن تتلبسك التهمة إذا كنت بريئاً؟

الشاعر: لا أعرف. التهمة مثل ذبابة تشم الجرح. تظل تلاحقك. ولا تسمح لك حتى بالنوم.

الضابط: أنت متشائم جداً.

الحارس: **(وقد أخرج بعض الملابس العتيقة من الصرة)** انظر. ملابس مستعملة.

الشاعر: نعم. مستعملة.

الحارس: ومن أين سرقتها أيها الحقير؟

الشاعر: **(للضابط)** أرأيت؟ هذه تهمة. **(للحارس)** اشتريتها.

الحارس: اشتريتها مستعملة؟

الشاعر: نعم يا سيدي.

ضابط: ولماذا تشتريها مستعملة؟ لكي تتنكر بها؟

الشاعر: وهذه تهمة أخرى. ليست لدي شخصية أصلح لها إلا شخصية المواطن. وهذه لا تحتاج إلى التنكر. الملابس للأولاد يا سيدي. أنا لا أستطيع أن أشتري إلا من البالة. أولادي كثيرون. وأنا أبحث عن عمل منذ خروجي من السجن. صرت أعمل أي شيء يتوفر حتى جمعت القليل من المال. فاشتريت لهم ما استطعت. (يتنهد) هذه المرة طالت غيبتي. لم أرهم منذ زمن طويل.

ضابط: وأين كنت تشتغل بعد السجن؟

الشاعر: بحثت طويلاً عن عمل وأنا منشغل بالبحث في الزبالة لكي أجد ما آكله وألبسه.

ضابط: وكيف لم تجد عملاً؟ المنجزات كثيرة والمشاريع لا تحصى. هناك حاجة ماسة للأيدي العاملة. لماذا لم تراجع مكاتب التشغيل؟

الشاعر: راجعت مكاتب التشغيل كلها فأبلغوني أن يديّ لا تصلحان إلا للقيود.

الضابط: وأين درست هذا الاختصاص؟

الشاعر: في الغابة طبعاً. كنت من المتفوقين.

الضابط: ولكنك تقول إنك اشتريت هذه الملابس. من أين المال؟

الشاعر: من الشغل. اشتغلت بعض الأعمال الحرة.

الضابط: أعمال حرة؟ هذا يعني أنك غني. أين اشتغلت؟

الحارس: عند الأعداء؟

الشاعر: لا يا سيدي. اشتغلت في بلدي. ولهذا أنا فقير وجائع. وإذا كنت تبحث لي عن تهمة أنا أخدمك بعيني. الأعمال الحرة التي اشتغلتها فيها تهرّب من الضرائب.

ضابط: ما هي هذه الأعمال؟

الشاعر: التسول. النشل. بيع الأشياء الصالحة التي يمكن العثور عليها في الحاويات.

الحارس: ولم تشتغل عند الأعداء؟

الشاعر: لو اشتغلت عند الأعداء لما تركوني على هذه الحالة. كانوا كفوني حاجتي.

ضابط: **(يضربه ضربة مفاجئة فيلقيه أرضاً)** تمتدح الأعداء أمامنا يا كلب؟

(يتحول المشهد على الشكل التالي: ينحصر الثلاثة في بقعة ضوئية حتى يبدو كأنهم في غرفة تحقيق. ويجب الاستفادة من الأشجار أياً كان نوعها ـ أشجار حقيقية، ديكورية، إيحائية ـ بحيث تصبح ظلالها قادرة على الإيحاء بالسياط وأدوات التعذيب. ورغم هذا الإيحاء بغرفة التحقيق فإن الضابط والجندي يظلان يتعاملان بواقعية مع التفاصيل السابقة، كالصرة والملابس والأكل).

الحارس: **(وهو يخرج صرة صغيرة من الصرة الكبيرة. يفتحها فيجد فيها طعاماً بسيطاً)**. تعني أن الأعداء يهتمون بك أكثر من وطنك؟

الشاعر: لا يا سيدي. أقصد لو كنت أتعاون مع الأعداء لكافأوني.

ضابط: هل يدفعون كثيراً لمن يتعاون معهم؟

الشاعر: طبعاً.

(يتابعان وهما يأكلان الزوادة، بينما هو يجيب بخوف ويتابع أكلهما بتحرق).

الحارس: كيف عرفت؟

الشاعر: لا أعرف. هذا ما سمعته. هكذا يقولون.

ضابط: من هم الذين يقولون ذلك؟

الشاعر: الناس. لا أعرف. أسمع هذا الكلام أحياناً.

الحارس: **(يشده بعنف)**: تعاون مع الدولة والأمن ولا تكتم المعلومات. من الذي يقول هذا الكلام؟

الشاعر: أقسم بالله لا أعرف.

ضابط: أنت إذن لم تسمعه من أحد.

الشاعر: **(خائفاً)** لا. لا. يا سيدي.

الحارس: أي أنك اختلقته من بنات أفكارك.

الشاعر: صار عندي بنات أفكار؟ هذا ما كان ينقصني. أنا لا أستطيع تأمين الطعام والسترة لبناتي.

ضابط: يعني أنك لا تردد أقوال الآخرين المغرضة؟

الشاعر: أعوذ بالله.

ضابط: فهذا الكلام الذي قلته هو رأيك إذن.

الشاعر: **(محاصراً)** يا سيدي، والله العظيم لا رأيي ولا رأي غيري. ولكن المنطق يقول إن من يؤدي خدمة ينال عليها أجراً. وهو مجرد كلام. كما يقولون: كلام ما عليه جمارك.

ضابط: ولكن هذه المرة ستكون عليه محاسبة. كلام فيه مسؤولية. اعترف الآن. هل اشتروك؟

الشاعر: لا يا سيدي. أنا بضاعة انتهت مدتها في بلد المنشأ.

ضابط: لا تراوغ. الطابور الخامس الذي يحارب معنويات مواطنينا الأشاوس في هذه الظروف العصيبة يجب قطع دابره.

الحارس: **(وفمه مملوء بالطعام):** طبعاً يجب قطع دبره.

ضابط: **(يلكزه)** دابره يا حمار.

الحارس: **(يلكز الشاعر):** دابره يا حمار.

الشاعر: صحيح يا سيدي. يجب قطع دابره.

ضابط: **(للشاعر)** مشكلتكم أيها المواطنون الجهلة الأغبياء هي أنكم لا ترون الأبعاد الحقيقية للمعركة. كل منكم مشغول بنفسه. لا ينشغل إلا بمصلحته. ولا يرى إلا نفسه.

الشاعر: أنا لا أرى إلا نفسي يا سيدي؟ **(يسترسل كأنه يكلم نفسه)** أنا لا أرى إلا نفسي يا سيدي؟ أقسم لك أنني أتطلع في المرآة فلا أرى نفسي. إنني أهرع مذعوراً إلى المرآة وأنا أخفي وجهي بيدي. وأصرخ: لا. ليست هذه ملامحي. إنها مستوطنات غريبة فيه. وهذا ليس وجهي. إنه عريضة استرحام أبدية. وما الفم والعينان والحواجب إلا تواقيع وإحالات وأختام. (يشير إلى فمه) أترى هذا يا سيدي؟ أنت تظنه فماً. والحقيقة هي أنه حاشية من الحكومة. حاشية تقول: للحفظ.

(تعود الإضاءة فيعود المشهد إلى واقعيته)

(الضابط والحارس ينتهيان من الطعام).

الحارس: لم أشبع.

ضابط: **(وهو يمسح يديه وفمه بالهوية):** الحقير. لا يحمل إلا هذا الطعام الرديء.

الحارس: ليس طعاماً رديئاً فقط؛ بل كميته قليلة أيضاً. يجب أن نعاقبه على ذلك.

الشاعر: **(معتذراً)** ماذا أفعل يا سيدي؟ هذه إمكاناتي. العين بصيرة واليد قصيرة. والجود من الموجود. وحضرتم ولم يحضر..

(إطفاء على الحارس والضابط. يدور بنظره حوله فلا يراهما.. فيتابع وكأنه يحدثهما في الخيال)..

الحارس: **(لا يدعه يكمل)** ألم تحسب حساباً للضيوف؟

الضابط: أهذه محافظتك على قيم الأجداد؟ أين الكرم والمروءة وحق الجار؟

الحارس: أين المجد والسؤدد وقرى الضيف؟

الشاعر: كله زرب من جيبي يا سيدي.

الحارس: من جيبك؟

الشاعر: **(يقلب جيبه)** جيبي مثقوب كما ترى. عمري لم أحفظ شيئاً فيه.

الحارس: يجب أن تحفظ. تصور لو صادفك محتاج.

الضابط: تصور لو أنك التقيت بأحد جنودنا البواسل عائداً من المعركة وكان في حاجة إلى الطعام لكي يكمل واجبه في الدفاع عن الوطن.

الشاعر: حاضر. حاضر. سأنتبه إلى هذا الأمر. حين يكون معي ما يُحفظ.

الحارس: أرني هويته يا سيدي. **(يقرأ. ثم كأنه اكتشف شيئاً)**

هاااا. هذا أنت. قلها منذ البدء ولا تعذبنا. (يلتفت إلى الضابط) هذا كاتب. شاعر. (يتطلع إلى الشاعر) أليس عندك كتاب عنوانه: «سأخون وطني»؟ لا تنكر. لن تستطيع أن تكتم المعلومات عني. أنا مثقف. لا يغشك أنني في هذه الملابس. أنا أفهم أكثر من الذي خلّفك. حذائي يفهم أكثر من اتحاد كتّابكم كله. اعترف ولاك.

الشاعر: أنا أعترف يا سيدي.

الضابط: **(للتابع، وهو يأخذ الهوية منه بعنف)** هل صرت تقرأ الشعر أنت؟

الحارس: أنا يا سيدي لا أقرأ إلا التقارير. وهذا الشاعر عندنا إضبارة كاملة له. ومعظم التقارير عن كتابه هذا: **(سأخون وطني).**

الضابط: **(للشاعر)** وتعلنها صراحة أنك ستخون وطنك؟

الحارس: وفي هذه الظروف العصيبة ونحن مقبلون على حرب مقدسة ضد الأعداء؟

الضابط: اعترف. كيف كتبت ذلك؟

الشاعر: لم تكن كتابة يا سيدي. بل كان أنيناً في محبرة. لم يكن مسموحاً لي حتى بالأنين.

الضابط: أهناك حمار يقول: سأخون وطني؟

الشاعر: لا يا مولاي. الحمار لا يقولها طبعاً. ولكن أنا قلتها.

(يسترسل في الكلام وكأنه يكلم نفسه.. وأثناء ذلك تزداد الإضاءة بالتدريج على الضابط والحارس).

الشاعر: يا سيدي. هناك وطنان. وطن مفصّل على مقاس الخطابات والتصريحات والمؤتمرات والصفقات. وهو الذي

لا يرى غيره المنتفعون والمزايدون والمرتشون واللصوص والمخبرون، والذين لا يرون الوطن إلا بقرة حلوباً. الوطن الذي لا يتذكرونه إلا في المناسبات التي ينتفعون بها. هذا هو الوطن الذي أعلن أنني سأخونه. أما الوطن الثاني فهو الذي ينغص علي عيشي ويحرمني النوم. والذي أحرص عليه حرصي على بؤبؤ العين.

الحارس: **(يضحك)** أنت تتحدث عن المزايدات وتقول هذا الكلام؟ (يهمس للضابط) تأخرنا.

الضابط: هيا بنا.

الحارس: **(يبدأ تفتيش الصرة من جديد. يأخذ منها ما يراه مقبولاً).** صاروا يجلبون أشياء جيدة في البالة.

ضابط: **(يتطلع إلى الشاعر)** هذه المرة سنسامحك. ولكن تعلّم أن لا تطيل لسانك بعد اليوم. **(ينتبه إلى الهوية. يعطيها للشاعر وهو يكلمه بما يشبه الاعتذار).** مسحت يدي وفمي بها.

الشاعر: لا تهتم للأمر يا سيدي. قد يكون هذا لمصلحتي. لأول مرة سيكون لهويتي طعم.

(الحارس يركل ما تبقى من الصرة برجله. ويذهبان).

الشاعر: **(يلحق بهما)** أين تذهبان؟ لا تتركاني وحدي هنا دون طعام. أرجوكما. خذاني إلى السجن على الأقل. أنا خائن. أنا جاسوس. أنا جاموس. **(يغيبان عن ناظره)** أنا المنحوس ابن المنحوس. حتى الطعام أخذوه. مرة أخرى سأنام بلا عشاء.

(ينزوي جانباً ليجمع أمتعته المبعثرة حتى يغيب عن النظر).

صوت الزوجة: آه.. ما نفع الأنف دون ربيع.
والذراع دون خصر.
والفم دون قبل.
أين أنت يا حلمي ويا وجعي
ويا ما تبقى من دموعي؟

(التابع والأميرة يدخلان).

الأميرة: سأقطع رؤوسهم جميعاً. ثلاثة فرسان لا يستطيعون جلب ذئب؟

التابع: هدئي أعصابك يا مولاتي. لا نعرف ما هي ظروفهم. وأعتقد أن مسألة جلبه حياً هي التي أربكتهم. أنا أعرفهم. فهم من خيرة الصيادين عندنا. ولو طلبنا منهم قتل ذئب لعادوا بعشرة.

الأميرة: الحق عليك أنت. ما كان يجب أن تخرجني من الحصن قبل التأكد من وجود الذئب. كنت استفدت من وقتي بالقفز عن الحصان، أو بجلد المساجين، أو بحضور عملية إعدام.

التابع: لم أتوقع أن يفشلوا في اصطياده حياً. على أية حال، ولكي لا يضيع يومنا هباء، نستطيع أن نتحدث عن الأمر من الناحية النظرية. نتحدث من هنا إلى أن نصل إلى الحصن.

الأميرة: ولكن يجب أن أرى أبي اليوم. المعركة صارت وشيكة. وإنني متلهفة على خوضها. أريد أن أجرب كل ما تعلمته حتى الآن.

التابع: سنتمشى ونتحدث من هنا حتى القصر. اسمعي يا

مولاتي. إطلاق السهم على الذئب في الغابة عملية مركبة. أولاً هو هدف متحرك.

الأميرة: كم مرة ستعيد علي الكلام ذاته؟ دعني من الذئب الآن. وحدثني عن المعارك التي انتصر فيها أبي.

التابع: **(بنشوة)** كانت المعركة الأخيرة قبل سنوات. كانت عنيفة فعلاً. أميرة شريرة سحرت الناس بجمالها وجعلتهم يتبعونها. قادت تمرداً في الشمال. وتحصنت في قلعة في رأس الجبل. مولانا الملك والدك لم يرض أن يرسل أحداً. قاد الجيش بنفسه. وشعرت الأميرة بالخطر فتحصنت في القلعة. ولكن لا أسوار ولا قلاع تقف في وجه مولانا. تسلق الأسوار مع الجنود، واقتحم القلعة.

الأميرة: آه ليتني حضرتها أو شاركت فيها.

التابع: كنتِ صغيرة. وكان ممنوعاً عليك الخروج من الحصن.

الأميرة: سيخنقني هذا الحصن.

التابع: هل بدأت تملّين؟

الأميرة: طبعاً. تدريب ودروس. وأنا لا أعرف إلا أسوار الحصن. دنيا بأكملها أسمع عنها وأقرأ عنها في الكتب ولا أراها.

التابع: هذا كله لمصلحتك. جلالته يعرف مصلحتك جيداً. وهو يريد أن يجعلك من خيرة الفرسان والمقاتلين. لا يريد للعالم الخارجي أن يشوّشك.

الأميرة: الحمد لله أننا صرنا نخرج للتدرب في الغابة. أكمل لي عن المعركة.

التابع: وبعد اقتحام الأسوار تقدم مولانا وسيفه في يده والجنود

وراءه. اقتحم الحجرات والغرف والمهاجع والمستودعات وأماكن الجنود.

الأميرة: والأميرة الشريرة؟ ماذا حل بها؟

التابع: فاجأها مولانا في مخدعها مع جواريها.اقتحم المخدع واندفع إليها. اغتصبها أمام الجميع. ثم جلبها مع جواريها سبايا.

الأميرة: وما معنى اغتصبها؟

التابع: **(يرتبك)** أعني أجبرها على النوم معه.

الأميرة: ينام في المعركة؟

التابع: ينام. ولكن ليس بمعنى أن يتمدد ويغفو. أقصد.. المقصود هو إجبار العدو على القيام ببعض الأمور حتى لو كان لا يريدها أو لا يحبها. سأشرح لك ذلك فيما بعد.

صوت الشاعر: كنا نحلم بالصحراء

كما يحلم اليتيم بالمزمار

هناك نتكئ على الرمال الزرقاء.

الأميرة: **(تتوقف)** سمعت؟

التابع: **(يضع يده على سيفه وهو يتلفت حوله)** ماذا؟ لم أسمع شيئاً. ما الذي سمعته؟ **(يشهر سيفه)** هل سمعت خبب خيول؟ أم قعقعة سلاح؟ أم زئير أسود؟

الأميرة: **(تضحك)** لا هذا ولا ذاك. سمعت كلاماً.

التابع: **(ساخراً وهو يعيد سيفه)** كلام؟

الأميرة: نعم. كلام. يشبه ذلك الكلام الذي سمعته ليلة أمس من نافذة الحصن. كان كلاماً يبكي.

التابع: كلام يبكي؟

الأميرة: نعم. كلام فيه بكاء لأناس لا يكون.

التابع: وكيف سمعت هذا الكلام؟ من الذي تجرأ على الاقتراب من الحصن؟ سأعاقب الحراس.

الأميرة: الحراس لا ذنب لهم. الأصوات هي التي تسربت من الليل. حملتها العتمة. والحراس لا يستطيعون إيقاف العتمة.

الشاعر: نئام صامتين حتى الصباح

لا لأن الكلمات قليلة

ولكن لأن الفراشات المتعبة تنام على شفاهنا.

الأميرة: اسمع. اسمع. كلام من هذا النوع. كلام غريب. أول مرة أسمع من يقول: الفراشات المتعبة تنام على شفاهنا.

التابع: المقاتل الصنديد لا يهتم بالفراشات التافهة. المقاتل صديق للطيور الجارحة. وهي صديقته. لأنه من خلال معاركه يؤمن لها طعامها من جثث الأعداء.

الأميرة: ولكن هذا كان يتحدث عن الفراشات. الفراشات التي تحط على الفم. ماذا يعني؟

التابع: لا أعرف. ربما لأنها ترجوه ألاّ يأكلها.

الأميرة: فتحط على شفتيه؟

التابع: مثلما يأتي العدو مستسلماً صاغراً ويلقي أسلحته بين يديك.

الأميرة: أهكذا فعلت الأميرة الشريرة؟

التابع: تقريباً. استسلمت لأبيك جلالة الملك وقالت له: افعل بي ما شئت.

الأميرة: فأجبرها على النوم معه. هل ننام مع الفراشات إذا حطت

على أفواهنا؟ أم نعفو عنها ونتركها تطير حيثما شاءت؟
هل سبق لك أن نمت مع فراشة؟

(التابع يحرج، فينقذه صوت الشاعر).

الشاعر: غداً يا حبيبتي، غداً
نرتفع مع الريح كالطيور
كالدماء عند الغضب

(التابع يلتفت إليها وهي مستغرقة في السماع)

صوت الشاعر: ونهوي على الصحراء
كما يهوي الفم على الفم.

(يشدها التابع من يدها ليبعدها، فتمانعه).

صوت الشاعر: نمنا متعانقين طوال الليل
وأيدينا على حقائبنا.
وفي الصباح أقلعنا عن السفر
لأن الصحراء كانت في قلبينا.

الأميرة: **(كالحالمة)** يا ألله. أسمعت هذا؟ كلام غريب.

التابع: لا تهتمي بهذه التفاهات. أنت مقاتلة لا تسمع إلا الأناشيد الوطنية الحماسية.

الأميرة: يشبه الكلام الذي سمعته في الليل. ولكن من الذي كان يقول هذا الكلام الجميل؟

التابع: أي كلام جميل يا أميرتي؟ ليس مسموحاً لنا أن نسمع إلا صرخات الحرب. ونحن نتدرب في الغابة لكي لا نسمع سوى زمجرات الوحوش الكاسرة. ركزي معي. ودعيني أكمل. وإلا ضاع تدريبنا كله هباء.

الأميرة: تفضل.

التابع: إصابة الذئب تختلف عن إصابة السجين الهارب التي أتقنتِها سموك. فالسجين حتى لو جرح يأمل في أن يتمكن من النجاة. ولهذا يظل يركض. أما الذئب فإنه إذا أصيب ولم يُقتل قد يرتد عليك.

الأميرة: عدت إلى الكلام ذاته. ألا تحفظ غيره؟ ليت الذئب يرتد عليّ. هذا أكثر إمتاعاً. كنت سأبادره بالسيف. وأجبره على النوم معي.

التابع: مولاتي. ما هذا الكلام؟

الأميرة: ألا نكمل انتصارنا بإجبار العدو على ذلك مثلما فعل أبي؟ سأجبر الذئب على أن ينام معي.
(تضحك) لا شك أن هذا آخر ما سيخطر للذئب. تصور أنه يستعد لمعركة الحياة أو الموت، ونحن نجبره أن ينام معنا. **(بشيء من الحزن)** ولكن للأسف يدي لم تعد قوية.

التابع: **(مسروراً لتغير الموضوع)** كانت قوية. ما الذي جرى؟

الأميرة: لا أعرف. فيها شيء بدأ يضعف. عضلات بدأت تلين. حتى عضلات الصدر كانت صلبة وقوية. ولكنها بدأت تلين. المسها.

التابع: **(يحس بالحرج)** مولاتي. لا يصح.

الأميرة: ما الذي لا يصح؟ كنت دائماً تتحسس عضلاتي للتأكد من نموها ومن صلابتها.

التابع: صحيح. ولكن هذا كان قبل أن.. أقصد. كانت عضلات.

الأميرة: والآن ما هي؟

التابع: هي الآن شيء آخر.

الأميرة: ما هو؟

التابع: **(يتزايد حرجه، يلتفت حوله. يرتاح لرؤية الشاعر متكوّماً)** انظري مَن هنا. ما هذه القمامة؟

الشاعر: **(يستيقظ)** آخ!

التابع: ما بك يا هذا؟ من أنت؟

الشاعر: أنا آخ.

الأميرة: **(تتطلع إلى التابع)** مسكين.

التابع: لسنا نحن الذين نهتم بهذه التفاهات. كلمة مسكين تختفي دائماً من لغة المحارب.

الأميرة: **(تكمل ساخرة منه كأنها تستظهر كلامه الذي تعرف أنه سيقوله)** لأنه يجب أن يقتل الأعداء دون شفقة ولا رحمة.

التابع: وهذا الذي تضيعين الوقت بسماعه والشفقة عليه لا يبدو عليه أنه من جنودنا الأشاوس. وليس معنياً بمعاركنا الوطنية.

(تتحول الإضاءة إلى مشهد تحقيق).

التابع: **(للشاعر)** هل سبق لك أن قاتلت؟

الشاعر: لا يا سيدي.

التابع: وهل تقاتل إذا دقت المعركة بابك؟ هل تفتح لها؟

الشاعر: لا يا سيدي.

التابع: **(بلهجة انتصار)** أرأيت يا مولاتي؟ لا يفتح لها.

الأميرة: **(للشاعر)** لماذا لا تفتح بابك للحرب؟

الشاعر: أخاف أن أفتح بابي فتدخل منه المخابرات.

التابع: وهل فعلت شيئاً لكي تدهمك المخابرات؟

الشاعر: لا أعرف. ربما. اسألهم هم. هم يعرفون كل شيء. يعرفون ما فعلته وما سأفعله.

التابع: الآن ليس هناك مخابرات. هل تتطوع للحرب؟

الشاعر: لا.

التابع: **(للأميرة)** سمعت بنفسك؟

الأميرة: لماذا لا تتطوع؟

الشاعر: لأنني جائع. أخذوا مني طعامي. أخذه مني الجنود الذين يدافعون عن الوطن. وتركوني والجوع ينبض في أحشائي كالجنين.

(تعود الإضاءة إلى طبيعتها).

الأميرة: جنين؟ **(للتابع)** ماذا تعني هذه الكلمة؟ ما هو الجنين؟

التابع: الطفل في البطن قبل الولادة.

الأميرة: وهل يكون الطفل في البطن قبل الولادة؟ كيف يدخل إلى هناك؟ وكيف يأتي إلى الدنيا؟

التابع: **(بعصبية ليتهرب من الموضوع)** أنا أدربك على قتل الموجودين في الدنيا. أما كيف يأتون إليها فهذا ليس من شأني. فليأتوا مع أسراب القطا أو مع الغيوم. فلينبتوا كالفطر. نحن لا نهتم إلا بقتلهم. **(وليتخلص من حرجه)**: أنا أرى أن نقابل أباك لكي يقرر المرحلة التالية من تدريسك وتدريبك. وفيها يجيبون عن أسئلة كهذه. أنا لست مخولاً بالإجابة.

الأميرة: ولكن لم لا يأكل هذا الرجل إن كان جائعاً؟

التابع: لأنه يتبع الريجيم.

الشاعر: بل أنا جائع. وقد سرقوا طعامي.

الأميرة: اجلب له من طعامي الذي يحافظ على الرشاقة. هيا. ارجع واجلب الطعام الذي تركناه في الغابة.

التابع: **(متضايقاً)** حاضر. **(يخرج).**

الأميرة: أنت الذي كنت تقول ذلك الكلام الجميل؟

الشاعر: جميل؟ إننا لا نحس بالعذاب الذي يكابده الكناري وهو يطلق زقزقته الساحرة.

الأميرة: زقزقته ساحرة فعلاً. أول مرة أنتبه إلى زقزقة الكناري منذ أيام. يبدو أنه قد بنى عشاً عند نافذة السور. ولكن هل يتعذب وهو يزقزق؟

الشاعر: هو يزقزق لأنه يتعذب. نحن نسمع الزقزقة ونشعر أنها جميلة. وهي بالنسبة إليه نواح وشكوى.

الأميرة: غريب. وعن ماذا تكون شكواه؟ ما الذي يقوله في زقزقته؟ هل يشتكي من الجوع مثلك؟

الشاعر: أحياناً. ولكنه حين يزقزق يشتكي الوحشة وبعد الحبيب. وهو ينادي الحبيب بهذا الصوت الباكي لعله يشفق عليه ويأتي إليه. هل رأيت كنارياً يزقزق إلا وهو وحيد؟

الأميرة: لا أعرف. لم أنتبه.

الشاعر: كيف لا تنتبهين؟ تسمعينه فقط؟

الأميرة: أسمعه فقط. وآكله أحياناً.

الشاعر: تأكلين الكناري؟

الأميرة: المقاتل يأكل أي شيء يتوفر له.

الشاعر: تأكلينه رغم زقزقته الساحرة؟

الأميرة: لا أترك له مجالاً حتى للزقزقة. حين سمعت زقزقته عند نافذتي كنت قد تناولت إفطاري. فتركته يزقزق. وكانت زقزقته جميلة فعلاً. ولم يخطر لي أنه متألم.

الشاعر: مثلما سمعتني. أعجبك كلامي ولم تهتمي بمعرفة شكواي. هل ستأكلينني؟

الأميرة: لا. لست جائعة. وحتى لو كنت عدواً فأنا لا آكل أعدائي. الحقيقة أنا لم آخذ بعد درس التعامل مع العدو بعد الانتصار عليه. أعرف فقط أننا قد ننام معه. أعني لو كنت عدواً لأجبرتك على النوم معي. ولكنك لست عدواً أليس كذلك؟ هل أنت عدو؟

الشاعر: **(يتأملها باسماً)**: للأسف لا. كم كنت أود ذلك. ولكنك صغيرة على عداوتي والانتصار علي.

الأميرة: اطمئن إذن. لن نأكلك. كان معنا طعام كثير. وقد أكلنا منذ قليل.

الشاعر: هنيئاً لك. أما أنا فما زلت جائعاً. وسيحل الظلام قريباً. قد لا أستطيع العثور على طعام.

الأميرة: أرسلت أجلب لك طعاماً. ولكن قل لي ما الذي يمكن أن يقوله الكناري لحبيبته؟

الشاعر: يقول لها:

اقتربي مني يا صغيرتي.

إنني مرهق وخجول.

بلادي صغيرة وجائعة

وفمي مسيج بالصهيل.

الأميرة: **(وهي تقترب منه ساهمة وتجلس إلى جانبه)** من أنت؟

الشاعر: أنا أحد المناديل التي تلتقط دموع العالم.

(يحيط كتفها بذراعه فتستكين إليه).

أنا يائس حتى الموت.
فاهدئي بجواري.
هكذا أودك.
زهرة برية أو يمامة في عنق الريح.

الأميرة: آه.. كلام جديد. أول مرة أسمع كلاماً كهذا.

التابع: **(يدخل فيراهما على هذه الحالة. يتوتر. يشدها من يدها بغضب):** هذا إسفاف لا يليق بك يا أميرة.

الأميرة: ألم تسمع؟ كان يقول إنني يمامة.

التابع: **(ساخراً بعصبية واحتقار)** يمامة؟ نحن نتعامل مع النمور الكاسرة والصقور الجارحة والنسور التي تعشق القمم. أي كلام هذا الذي يسمم عقلك به؟ بدأنا بالفراشات وانتهينا باليمام. **(للشاعر)** من أية مزبلة تلتقط هذه الطيور التافهة؟

الشاعر: تصور كيف انقلبت الدنيا. نلتقط الطيور من المزابل، ونقطف الزبالة من البراعم.

التابع: **(للأميرة)** هيا بنا يا مولاتي.

الأميرة: لا. سأبقى هنا. لعله يقول شيئاً آخر. جميل أن يراني أحدهم زهرة برية أو يمامة.

التابع: منذ متى؟ طوال عمري أعلّمك أن تنقضّي انقضاض الباشق وأن تتشبثي بموقفك مثل السنديان.

الأميرة: لكنني الآن أريد أن أكون يمامة أو كنارياً.

الشاعر: **(وحده في بقعة ضوئية)** المرأة التي أحلم بها
لا تأكل ولا تشرب ولا تنام.
إنها ترتعش فقط.

الأميرة: اسمع. اسمع.

الشاعر: ترتمي بين ذراعي وتستقيم
كسيف في آخر اهتزازه
ولكن الفراش بارد ومظلم
ونهداك عصفوران من الجمر.

الأميرة: **(للتابع)** ما هو النهد؟

التابع: لا أعرف. يجب أن أرى جلالة الملك والدكم لكي يضع حداً لهذا كله. **(يسرع بالذهاب متوتراً).**

(الأميرة تتابعه بنظرها قليلاً ثم تعود إلى الشاعر وتدخل بقعته الضوئية).

الشاعر: منذ أن خلق البرد والأبواب المغلقة
وأنا أمد يدي كالأعمى
بحثاً عن جدار أو امرأة تؤويني.
ولكن ماذا يفعل البلبل الأسير بالأفق
الذي يلامس قضبانه؟
ثمة جوع منسي في أفواهنا.
الأميرة: آه..

الشاعر: كانت زوجتي تقول: آه. وتضيف: وثمة أثداء منسية في صدورنا.

الأميرة: آه.. وما هي الأثداء؟

الشاعر: هي مصدر الرزق الوحيد الذي لا يصادر، والذي يتغذى منه الأطفال دون أن يدفعوا الضرائب. يا لزوجتي المسكينة. لولا قدرتها على الإرضاع لانتهت عائلتنا كلها وهي في المهد. حين أتذكرها أبتسم وفوق ظهري سنام من الدموع.

الأميرة: وأين هي زوجتك؟ لم هي ليست معك؟

الشاعر: لا أعرف. خرجت من السجن فلم أعرف الاهتداء إلى الدروب التي تؤدي..

الأميرة: تؤدي إلى أين؟

الشاعر: دروب تؤدي غرضها. تؤدي إلى أي مكان. أنا لا أحب الدروب قصيرة كالتي تغص بها المدن. أريدها عميقة وهيابة، طويلة وفاتنة كأحشاء مبعثرة في الريح.

الأميرة: **وكيف ستهتدي إلى زوجتك؟**

الشاعر: إما من نداء قلبي، أو من رفيف الحنين على أولادي. سلاماً أيتها الفتاة.

(يتركها ويحمل أمتعته خارجاً من البقعة الضوئية تاركاً الأميرة فيها).

الأميرة: هل أنت واثق من أنك ستجدها؟

الشاعر: إما أن أجدها أو أجد الموت.

الأميرة: الموت؟ ألا تخاف من الموت؟

الشاعر: صرت أنتظر الموت بقلق. وكم أخشى أن يتباطأ ويجعلني أدفع غرامة تأخير.

الأميرة: قل لي قبل أن تذهب. ما هذا الكلام الذي كنت تقوله؟

عمري لم اسمع أحداً يتكلم بهذه الطريقة.

الشاعر: ربما كان اسمه شعراً.

الأميرة: وماذا تكون أنت إذن؟

الشاعر: المفروض أن أكون شاعراً. ولكنني طوال عمري لم أعرف هل أنا مشروع شاعر أم مشروع خائن. (يخرج)

(الأميرة تظل تتطلع حيث ذهب)

صوت الزوجة:

آه..

ما نفع الأنف دون ربيع.

والذراع دون خصر.

والفم دون قبل.

أين أنت يا حلمي ويا وجعي

ويا ما تبقى من دموعي؟

الأميرة: آه هذا هو الكلام الذي يبكي. لماذا يبكي الكلام؟ **(تتطلع إلى الجمهور)** أيكون ممنوعاً عليهم البكاء فيبكي كلامهم عنهم؟

المشهد الثاني

(الملك في بهوه يقرأ تقريراً وهو يروح ويجيء. الأصوات تأتيه من الخارج).

صوت: كل كيسه على ظهره

كل بيته على ظهره

الأحلام خفيفة كالعصافير

والذكريات جميلة وراسخة كالنجوم.

صوت الزوجة: الأهداب الجميلة تغني

والدموع الرائعة تتأهب للانفجار.

الملك: **(تزعجه الأصوات. فيصرخ متوتراً)** أيها الضابط. يا رئيس الحراسة.

الضابط: **(يقف بالباب، وهو يحيي تحية نظامية مبالغاً بها).**

الملك: ما هذه الأصوات؟ لم أعد قادراً على التركيز.

الضابط: الساحة أمام القصر امتلأت بالمهاجرين. أناس من كافة أنحاء المملكة يجتمعون أمام القصر.

الملك: ولمن يتركون القرى في هذه الظروف العصيبة؟ ألا يعرفون أننا مقبلون على حرب؟

صوت: أبواب المنازل تبكي

وتصفق للموت بمصاريعها.

الملك: أتسمع؟ **(يطل من النافذة)** أعداد القادمين تزداد.

صوت: رحلنا عن قرانا وعن ينابيع الجبال.

آملين أن نلتقي بنار أو عاصفة في الطريق.

صوت: حتى العاصفة أفضل من هذا الجفاف الساكن الشبيه بالأفاعي الميتة.

الملك: **(الذي يزداد هياجه)** فرقوهم. أعيدوهم إلى قراهم.

الضابط: أعطيت الأوامر أن يحتاط الجنود لكل احتمال.

التابع: **(وهو يدخل متوتراً)** مولاي.

الملك: وأنت؟ كيف تسمح لهؤلاء أن يتجمعوا أمام قصري؟

التابع: كنت مع الأميرة يا مولاي. جئت الآن فرأيت تجمعهم. لم يفعلوا شيئاً بعد. سننتظر. لعلهم جاءوا يجددون لك العهد.

الضابط: ربما. معك حق. الشعب يحب مولانا فعلاً.

الملك: شعبي يحبني فعلاً. أنا أعرف ذلك.

التابع: ولكنْ لدي أمر هام يجب أن أحدث جلالتكم به. **(للضابط)**: ابق خارجاً. وافتح عينيك جيداً.

الضابط: **(يتطلع إلى الملك منتظراً الأمر منه).**

الملك: **(يصرخ)** ألم تسمع ما قاله لك؟

الضابط: كنت أنتظر الأمر منكم يا مولاي.

الملك: الأمر منه هو أمر مني **(الضابط يحيّي ويخرج).**

التابع: شكراً لك على ثقتك بي يا مولاي.

الملك: لا تشكرني. أنا أعرف أنك تابع مخلص. وقد صرت تعرف الهواجس التي في نفسي.

التابع: وهذا ما دفعني إلى المجيء إليك بهذه السرعة.

الملك: هات حدثني عن الأمور المستجدة إذن.

التابع: أريد أن أكشف أمام عظمتكم يا مولاي أننا مهددون بخطر عظيم، وأن جهودنا كلها مهددة بالفشل الذريع.

الملك: أي فشل؟ وأي خطر؟ تتوقعون أن يهزمنا هذا المشاغب التافه؟ أنتم تتوهمونه وترونه أكبر من حجمه. كأنكم لا تعرفون من هو مليككم. غداً ترون. عند أول اشتباك ستتساقط رؤوس جنوده وراياته عند أقدامي مثل حبات التوت.

التابع: ليس هذا ما أريد أن أحدثك عنه يا مولاي. أنا لا أتكلم عن العدو الخارجي. بل أتكلم عما يتهدد الأميرة.

الملك: الأميرة؟ ما بها؟ ما الذي يتهددها؟

التابع: بدأت تكتشف.. ماذا أقول؟ بدأت تكتشف.. جسدها.

الملك: ألم أمنع ذلك؟ ألم أقل أريدها رجلاً؟

التابع: بلى يا سيدي. وقد بذلنا جهودنا كما تعرف. ولكن التحولات بدأت.

الملك: التحولات؟ امنعوا عنها التحولات.

التابع: لا أعرف كيف أمنعها يا مولاي. لقد سبقتها إلى القصر لأرى ما تأمرون به.

الملك: ألم أفوضك في أمرها؟ ألم أعطك الصلاحيات اللازمة؟

التابع: نعم يا مولاي. ولكن هذه المسألة تحتاج إلى قرار منك. فما نواجهه الآن تحولات من نوع آخر لم أستعد له.

الملك: أين تحدث هذه التحولات؟ في جسدها؟ ألأن صدرها انتفخ قليلاً؟

التابع: لا يا سيدي. هي لم تحس بعد بهذا على أنه تحول ذو أهمية. هي لا ترى من الأمر الآن إلا أن عضلاتها بدأت تلين.

الملك: اجعل عضلاتها تقسو كالحجارة. ارفع وتيرة التدريب. أكثر من التمارين الرياضية. دعها ترفع الأثقال وتصارع

البغال والثيران. واملأ صدرها بالمثل العليا لكي تقطع الطريق على تلك الانتفاخات السخيفة في جسدها والتي تعترض خطتي.

التابع: هي يا مولاي لم تشعر أن لصدرها خصوصية مختلفة. إنها ما زالت تراه عضلة. حتى أنها طلبت مني أن أتحسس لها صدرها.

(ينظر إليه الملك بحدة)

التابع: **(متحاشياً النظرة الغاضبة)**: المشكلة ليست في الجسد يا سيدي. المشكلة في الصدر.

الملك: ستجعلني أفقد عقلي. هل المشكلة في الصدر أم في الجسد؟

المدرب: في الصدر يا مولاي.. أقصد في القلب. في العواطف المستيقظة.

الملك: ومن الذي أيقظ عواطفها؟ امنعوا العواطف عنها.

التابع: كيف يا سيدي؟ لقد عززنا الحراسات عليها أكثر من الحراسات على الخزينة العامة. منذ طفولتها لم تخرج من الحصن. التدريب والدروس كلها في الحصن. ونحن نمنع حتى الخدم من رؤيتها. الطعام أقدمه لها بنفسي. والمربية وحدها تعلمها وتشرف على حمامها. لم نسمح لمخلوق آخر بالدخول إلى الحصن. ولكننا لا نرى العواطف وهي تدهمها.

الملك: قل لي ما الذي جرى بالضبط؟

التابع: الذي جرى يا سيدي هو أنها سمعت كلاماً في الليل. لا بد أنه أصوات هؤلاء القادمين من القرى. قالت لي إنه

كلام يبكي. وازداد الأمر تعقيداً حين التقت اليوم بشاعر.

الملك: شاعر؟ ماذا تعني هذه الكلمة؟

التابع: يعني.. إنسان يتحدث بلغة خاصة توقظ المشاعر.

الملك: ما الذي جعلها تلتقي به؟ ألم أمنعك من تعريضها للأوباش والغوغاء؟

التابع: إنني منذ سنوات أنفذ أمركم هذا يا مولاي. ولكن اليوم ونحن عائدان من التدريب أحبت أن تمشي. فسمعتْه وهو يتحدث عن العناق والنهد والجنين..

الملك: كيف تسمح لها بأن تمشي؟ كيف تعرضها لهذه اللفحة من البذاءة؟

التابع: كنا سنتمرن على مطاردة ذئب في الغابة. ولكنهم لم يأتوا بالذئب.

الملك: قل لي ماذا حدث بالضبط.

التابع: حين لم يأتوا بالذئب رحت أشرح لها الأمر من الوجهة النظرية ونحن نتمشى.

الملك: أين؟

التابع: في الغابة.

الملك: وكيف سمعت الشاعر إذن؟

التابع: كان منزوياً في الغابة. فسمعته.

الملك: ولم هو في الغابة؟ ماذا يفعل في الغابة؟ هل الشاعر أفعى أم قرد؟

التابع: إنسان يا مولاي. رجل. يبدو أنه كان يبحث عن مكان ينام فيه.

الملك: احرس الغابة ذاتها، واحرس الطريق المؤدي إلى الحصن الذي تقيم فيه. وامنع أية بومة من اعتراض طريقها.

التابع: حاضر. ولكن ماذا نفعل بالذي سمعته؟

الملك: هل سمعت كثيراً؟

التابع: بضع كلمات. ولكنها جعلتها تسألني أسئلة لم أستطع الإجابة عنها.

الملك: أي نوع من الأسئلة؟

التابع: كيف يتكون الجنين؟ وما هو النهد؟

الملك: **(باحتقار)** هذه أسئلة تربكك ولا تعرف كيف تجيب عليها؟

التابع: أعرف يا مولاي. أعرف. ولكن هل أقول لها؟ جلالتكم منعتمونا من ذكر هذه الأمور أمامها.

الملك: **(وكأنه تذكر المسألة)** صحيح. معك حق.

التابع: **(متابعاً)** ولم تكن الخطورة في كلمات الشعر وحدها، بل في العواطف التي أيقظها هذا الشعر.

الملك: شعر؟ **(باستخفاف)** إذا كانت هذه هي المسألة فالحل بسيط. سألغي الشعر في مملكتي. **(يفكر قليلاً)** ولكن من قبيل الحيطة.. ولكي لا يكون الشعر غريباً عليها علموها هي أن تكتب الشعر. سنعتبره نوعاً من اللقاح الذي يحميها من التأثر بالشعر بعد اليوم. هل تستطيع أن تعلمها ذلك؟ ليس من المعقول أن تدربها على المصارعة وتنفيذ الإعدامات والإشراف على التعذيب وقتل الهاربين ثم تعجز عن أن تعلمها الشعر.

التابع: سأحاول. ولكن قد لا أستطيع يا سيدي وحدي يا مولاي. ربما احتجت إلى من يساعدني.

الملك: لا أريد أن يتدخل آخرون. تعاون مع المربية.

التابع: حاضر.

الملك: ولكن قل لي ما هو الشاعر؟

التابع: شخص يرى العالم بطريقة مختلفة. مثلاً هذا الشاعر يقول إنه قد رأى عصفوراً أحدب.

الملك: أحدب؟ **(يضحك)** عصفور أحدب؟

التابع: نعم يا مولاي. أحدب.

الملك: وكيف يكون العصفور أحدب؟

التابع: هذا ما يفعلونه هذه الأيام. الشعراء يجعلون العصافير تمشي على العكازات.

الملك: ولِمَ اسمها طيور إذن؟

التابع: لأن لها أجنحة.

الملك: وماذا يعني أن لها أجنحة إذا كانت لا تطير؟ فليسموها قنافذ أو أسماكاً إذن.

التابع: الكتّاب والشعراء يجعلون الطيور تخلع أجنحتها كما نخلع المعاطف في الصيف.

الملك: طيور تخلع أجنحتها؟

التابع: تصور يا مولاي أن لهذا الشاعر صاحباً يقول إن لأصابعه ذاكرة.

الملك: **(يتطلع إلى أصابعه):** ذاكرة للأصابع؟ ما الذي يمكن أن تتذكره الأصابع؟ **(يصرخ)** ذاكرة للأصابع ونحن نريد

الشعوب بلا ذاكرة؟ هذا جنون. لا شك أن هؤلاء الشعراء سيقلبون العالم رأساً على عقب. هؤلاء مخربون. مدسوسون. لو وقعوا في يدي لعملت منهم سيخ شاورما. هذه أعمال جلادين، وليست أعمال شعراء. ما هي صحيفة سوابق شاعرنا هذا؟

التابع: هو الذي قال إن أرصفة الوطن لم تعد لائقة حتى بالوحل.

الملك: ألم يسجنوه؟

التابع: سجنوه. ولكنهم لم يستطيعوا أن يثبتوا عليه أية تهمة. لم يرتبط بعدو، ولم يقبض من عميل، ولم يشترك في مظاهرة. وإضافة إلى ذلك هو حذر ومحترس لا يدخل إلى المرحاض إلا وهويته وشهادة حسن السلوك معه.

الملك: ومن أين تعلّم هذا الحرص؟

التابع: يقول إنه لاحظ أن البراعم تتلفت يمنة ويسرة قبل أن تجرؤ على التفتح.

الملك: وهل قرأ رجال الشرطة هذا الكلام؟ ألم يروا في هذا الكلام مساساً بالأمن القومي؟

التابع: نعم يا مولاي. قرأوا. ولكن الشرطة الأخلاقية والجنائية وحدهما اهتمتا بالأمر. فتناوبتا اعتقاله.

الملك: لماذا؟

التابع: اعتقال احترازي. لأنه قال إنه يشتهي أن يأكل النساء بالملاعق.

الملك: يأكل النساء؟ **(يضحك)**: أعجبتني هذه. **(يضحك مرة أخرى)**: أنا أفكر أحياناً بمنسف نساء. ولكن لم الملاعق؟

الأكل باليد أفضل، وخصوصاً من المنسف. أقصد منسف النساء. (**يشمر عن يده وهو يتلمظ**): تصور أمامك منسف نساء. (**يقلد الأكل والغرف من المنسف**): وتغرف.. وتغرف.. (**يتطلع إلى يده**): معه حق. الأصابع لها ذاكرة فعلاً.

التابع: كلامكم هذا يا مولاي نوع من الشعر.

الملك: (**بثقة**): طبعاً شعر. تظن أن هناك شيئاً لا أستطيع أن أفعله؟ (**تظهر الملكة وهي قادمة بتوتر**): اذهب الآن واجلب لي المربية. الملكة قادمة. لا أريدها أن تسمعنا ونحن نتحدث عن المناسف. إذا سمعت ستفلق لي رأسي بالحديث عن الحمْية.

الملكة: (**وهي تدخل**): ماذا فعلت بالأميرة؟

الملك: أنا؟ ماذا فعلت؟

الملكة: رجعتْ من التدريب كالمريضة. قل لهذا الحيوان أن يخفف عنها تدريباته.

التابع: (**يبتلع الإهانة بصمت**): هل تريد مني شيئاً آخر يا مولاي؟

الملك: اذهب ونفذ ما طلبته منك. اذهب واجلب لي المربية لكي أجعلها تساعدك. أنا سأفهمها ما عليها أن تفعله. (**التابع يخرج**).

الملكة: (**باستهتار**): ولم أخرجته؟ تريد أن تحافظ على كرامته؟

الملك: لا. أنا أعرف كيف أنتقي أتباعي. هذا لا كرامة لديه لكي يحافظ عليها. ولو لاحظتُ عليه أعراض الكرامة لعالجته أو استبدلته فوراً. أنا أصنع رجالي كما يناسبني.

الملكة: وبالطريقة ذاتها تصنع ابنتك؟

الملك: (**كأنه تذكر الموضوع. يتطلع إلى الملكة بقسوة**): وكيف رأيتها؟ ألم أمنعك من رؤيتها؟

الملكة: منعتني. ولكنها هي التي سعت إليّ. شعرت بالحاجة إلى أن تتحدث مع أمها.

الملك: بعد كل ما علمتها إياه؟ بعد عزلي لها عن النساء وتفاهاتهن؟

الملكة: الأميرة لم تعد طفلة. ولعبتك لن تنجح.

الملك: أنا لا ألعب. ولا أفشل في شيء. ما أريده سيكون. أنا أريد صبياً. وأنت فشلت في أن تمنحيني الصبي. بمكرك وخبثك جلبت لي بنتاً. تريدين أن تعارضيني؟ أنا سأريك كيف أحولها صبياً. غداً ستكبر وينمو الشعر على وجهها ويصبح لها شاربان أكبر من شاربي.

الملكة: جن الرجل.

الملك: انتبهي لكلامك يا امرأة.

الملكة: انتبه أنت إلى عقلك يا رجل. اعترف أنه قد آن الأوان لأن ترفع يدك عنها وتتركها لي. هي الآن في مرحلة تحتاج فيها إلى أمها.

الملك: (**ساخراً**) لتفسديها وتصنعي منها شيئاً قميئاً مثل هذا. (**يشير إلى جسم الملكة**): جسد تافه ورغبات دنيئة. ابنتي لن تكون كذلك. وستكون الفارس الأول في مملكتي.

الملكة: ستكون كما ينمو جسمها نموه الطبيعي. وستتولد فيها المشاعر التي ستمنحها إياها طبيعتها ويفرضه عليها نموها.

الملك: أنا منعت عنها المشاعر. ابنتي لا تكون إلا كما أريد لها أن تكون.

الملكة: لن تستطيع أن تقف في وجه الطبيعة.

الملك: أنا الذي لا يقف شيء في وجهي. حتى الطبيعة طوع أمري. انصرفي الآن. وإياك أن تحاولي رؤية الأمير، مرة أخرى. هيا قبل أن ينفجر غضبي.

الملكة: أمورك لم تعد تعجبني منذ خرجت من السجن.

الملك: السجن. هذا ما لا تنسينه دائماً. نعم السجن. حين خرجت من السجن قررت الاستيلاء على هذا العرش. يومها شعرت بالحاجة إلى الرجال. وتمنيت لو أن هذا الشعب كله رجال.

الملكة: ولكنك أنت خرجت ناقص الرجولة.

الملك: **(يصرخ محتداً):** أنا لا ينقصني شيء.

الملكة: أنا ينقصني كل شيء.

الملك: قولي إنكِ لا تفكرين إلا بتلك البذاءات الصبيانية. كبرنا أيتها الحمقاء. كبرنا.

الملكة: هذا ما يجب أن تعترف به. أنت كبرت.

الملك: كبرت ونضجت. نعم. نضجت رجولتي. تظنين الرجولة هي في تلك الحقارات التي تشدينني إليها وحدها؟ هذه البذاءات الحقيرة ستكون ممنوعة في مملكتي كلها. أريد رجالاً أشداء يثبتون رجولتهم في ميادين العزة والكرامة، وليس في غرف النوم التي تمتص الرجولة.

الملكة: أهذا ما أنت خائف عليه؟ أن تُمتص رجولتك؟ ألهذا لم تعد تجرؤ على الاقتراب من جناحي؟ خائف على رجولتك؟

الملك: بل خائف على مملكتي. لا أريد أن أغفل عنها لحظة واحدة. المملكة التي اقتنصتها بسيفي يجب أن أحميها. فكما اقتنصتها أنا قد يفكر أي مغامر آخر باقتناصها. إن سنوات العذاب التي عانيتها في السجن جعلتني أؤمن أن الحياة للأقوياء وحدهم. والأقوياء رجال. ومملكتي ستكون كلها رجال. نعم رجال يعرفون ما هي الوظائف الحقيقية لرجولتهم. الذين كانوا معنا في السجن لم يصمد منهم إلا الأقوياء الصناديد. أما الإمّعات الذين كانوا يفتقدون النساء ويتشوّقون إليهن فهم الذين انهاروا ولم يستطيعوا الصمود. والجلادون كانوا يعرفون نقاط ضعفهم. ما أن يلوحوا لأحدهم باحتمال إخصائه حتى ينهار ويستسلم.

الملكة: أراك تعود إلى الذكريات. وأنت الذي تمنع الذكريات في المملكة.

الملك: **(صارخاً):** أريد أن أذكّرك أنت لكي تفهمي لماذا أريدها صبياً.

الملكة: أعرف. تريد ولياً للعهد. ولا تستطيع أن تأتي به.

الملك: أنا آتي به؟ هذه وظيفتك أنت. أنت يجب أن تأتيني بولي للعهد. ولكنك لم تساعديني.

الملكة: ساعدني أساعدك. هذا أمر يجب أن يقوم به اثنان.

الملك: أنا لا وقت لدي.

الملكة: لم تلومني إذن؟

الملك: لا تشغليني بهذه التفاهات. تدبري أمرك.

الملكة: هل أستعين بغيرك؟

الملك: **(يتطلع إليها بحدة)** افعليها وسيتدحرج رأسك مثل تفا[حة] ذابلة تعصف بها الريح.

الملكة: نغلق هذا الموضوع إذن. ولكن لم إذن هذه الشائعات التي تروجها عن فحولتك واغتصابك للأميرات اللواتي تنتصر عليهن؟

الملك: لكي يظل شعبي فحلاً وواثقاً أن الذي يحكمه فحل.

الملكة: وليس في شعبك الفحل كله من يصلح لأن يخطب الأميرة منك ويتزوجها؟

الملك: ابنتي؟ ابنتي يخطبها رجل ليتزوجها؟

صوت الضابط: **(من الخارج، وهو يخطب في الجماهير)**: أيها الشعب الكريم.

صوت رجل: إننا لا نسمع شيئاً.

صوت الضابط: لأنكم حيوانات.

صوت الزوجة: هيا. اقرأ ما في يديك وخلصنا.

الملك: **(وهو يقترب من النافذة)**: أتسمعين؟ هؤلاء هم رجالي. تعالي اسمعي كيف يخطبون.

الملكة: **(تقف وراءه دون اهتمام).**

صوت الضابط: أيها الشعب الكريم.

صوت الزوجة: هذه سمعناها. خلصنا. هات ما بعدها.

صوت الضابط: أيها الشعب الكريم. بلغنا أن بعض العجائز يخرّفون بأن سلطتنا لا تولي الشعب الاهتمام الكافي. وإن السلطة، التي تنفي نفياً قاطعاً هذه الشائعات المغرضة، تؤكد أنها ليست زرافة لتمد رأسها من النوافذ كلما سعل شيخ أو بكى طائر أو هاجرت سنونوة.

الملك: **(تعجبه هذه. يتطلع بزهو إلى الملكة)** هكذا يخطبون. وليس كما في رأسك الذي تعشش فيه البذاءات.

صوت الضابط: **(مستمراً)** أما الذين يتباكون لعدم مجيء المطر وكأنهم بدموعهم سيعوضون عما لم تَجُدْ به السماء فإننا نقول لهم إن العشب والشجر أشياء تافهة يمكن إزالتها كشعر الذقون دون أن تتأثر سياستنا العليا أو يتأثر صمود شعبنا الأبي.

الملك: (يطلق صوته من النافذة مكملاً الخطاب بحماسة): إننا مقبلون على معركة هي معركة الرجولة والفحولة. ونحن ديكة العالم وفحوله.

صوت: ولكننا نريد أن نأكل. ونريد أن نعيش في قرى نظيفة.

الملك: **(يتابع)** ستأكلون من لحوم أعدائكم وتشربون الخمور في جماجمهم. ونعدكم أنه بعد هذه المعركة لن تكون قراكم ملأى بالدخان والقمل. بل ستكون هناك قرى نظيفة ومصقولة يمكن ضغطها في حقائب السفر أو شراؤها من السوبرماركت. وستجدون القرى الجديدة معروضة في الواجهات دون أن تضطروا إلى هذه القرى المستعملة التي لا توجد حتى في البالة.

صوت الضابط: وهناك من يروج أن شبابكم يموتون في الحروب بلا أمجاد. وأحب أن أطمئنكم إلى أن عمالنا يشتغلون ليلاً ونهاراً لتفصيل ما يكفي من الأعلام للشهداء الأبرار من أبنائكم. فنحن لا ننسى أبداً أنكم أحفاد من فتحوا العالم على مصراعيه ثم جلسوا بين السنابك يقطرون دماً.

الملك: أحسنت. ولذلك فنحن لا يهمنا أبداً ما إذا كانت

الأشجار خضراء أم سوداء أم صفراء. ما يهمنا هو أن تصلح أخشابها أطراً لصور أبطالنا وشهدائنا. والسلام عليكم. (يغلق النافذة ويرجع. يتطلع إلى الملكة): ما رأيك؟ سيهدأون. أليس كذلك؟

الملكة: ربما كانت تهدئتهم أسهل من تهدئتي.

الملك: أنت آخر هموم المملكة.

الملكة: ألا تفكر على الأقل في تهدئة المشاعر الجديدة التي بدأت تظهر على ابنتكم.

الملك: لا شيء يصعب علي. أنا أهدئ العواصف. ولن يصعب علي أن أهدئ عواطفها ومشاعرها.

ضابط: **(يدخل ويحيي)** نفذت أوامركم يا مولاي.

الملك: سمعتك. تعال حدثني. كيف كانت استجابة الجماهير لخطابي؟

ضابط: لم يسمعوا مثله في حياتهم.

الملك: وكيف رأيت لي استعدادات الجماهير للحرب؟

الضابط: **(بنفاق)** لقد تأثروا كثيراً بعد سماعهم لخطابك. حتى أن امرأة صارت تبكي لأن ابنها الرضيع لا يستطيع الذهاب إلى الحرب. وجاءني رجل عجوز يتوسط لكي أعتني له ببرواز صورة ابنه الذي سيستشهد في الحرب.

الملك: عظيم. عظيم. هذا هو شعبي. يجب أن نرسلهم كلهم إلى المعركة. **(يتطلع إلى الملكة)** ماذا تنتظرين؟ ألا ترين أنني مشغول بشؤون المملكة؟ **(الملكة تتوجه للخروج)** وإياك أن تحاولي رؤية الأميرة.

الملكة: **(تتطلع إليه بغضب دون أن تعلق وتخرج).**

الملك: **(للتابع)** اذهب الآن. خذ معك ما يكفي من الفؤوس لقطع الأشجار. هيئوا براويز الشهداء. يجب أن يكون كل شيء جاهزاً للمعركة.

الضابط: **(يهم بالخروج):** حاضر.

الملك: وزيدوا الأناشيد الوطنية لكي يحفظها أهالي الشهداء.

(يدخل التابع ومعه المربية).

الملك: **(للضابط)** يجب أن يكون كل شيء جاهزاً لمعركتنا المقبلة. ولا تنس أن تدس جماعتك بين هؤلاء الغوغاء لكشف المدسوسين والعملاء والمخربين.

الضابط: حاضر. **(يحيّي ويخرج).**

الملك: **(للمربية)** تعالي أنت.

المربية: أوامرك يا مولاي؟

الملك: لم تأخرت علي؟

المربية: كنت أشرف على حمام الأميرة. ولديّ خبر سيسرك.

الملك: ما هو؟

المربية: لقد بدأ الشعر ينمو على جسمها.

الملك: صحيح؟

المربية: اليوم في الحمام رأيت الشعر تحت إبطها.

الملك: تحت إبطها؟ أنا أنتظر أن ينمو الشعر على سالفيها، على وجهها، على ذقنها.

التابع: ربما لم يئن الأوان لهذا بعد يا مولاي. سينمو الشعر على وجهها قريباً. الشعر ينمو تحت الإبط أولاً.

المربية: **(مستسلمة):** ربما نما الشعر على وجهها قريباً.

الملك: ساعتها يكون الخبر ساراً. **(للتابع)**: اعرض على ابنتنا صور الفرسان والأبطال لكي تتخذ من أحدهم مثلاً أعلى وتربي شاربيها مثله.

التابع: حاضر.

الملك: **(يأخذ المربية جانباً)**: وما قصة هذه الانتفاخات في صدرها؟

المربية: هذه من الأمور الطبيعية يا مولاي.

الملك: **(يصرخ)** لا أريد أي شيء طبيعي. الطبيعة تقاومني. زوجتي تتحداني بأنني لا أستطيع مقاومة الطبيعة. ماذا نفعل بصدرها؟ هل تتوقعين أن ينتفخ أكثر من ذلك؟

المربية: بصراحة يا مولاي. سيصير ثدياً. مثل.. **(تنظر إلى صدرها)** مثل.. مثل صدر الملكة.

الملك: مستحيل. لن يكون في صدر ابنتي قربة متهدلة تمنعها من القتال. مستحيل.

المربية: أخشى أنه ليس مستحيلاً. إذا استمرت الأمور على طبيعتها سينتفخ صدرها.

الملك: أنا أعرف كيف أقمع من يعترض على إرادتي. اسجنوا صدرها. **(يتبادلون النظرات مستغربين وغير فاهمين. ينتبه إلى استغرابهم)**: نعم اسجنوا صدرها. لفوه بحزام حديدي. امنعوه من النمو. سيبقى صدرها على ما هو عليه.

المربية: **(تقترب منه هامسة)**: والشعر يا مولاي؟

الملك: الشَّعر؟ ما مشكلة الشعر؟ يجب أن ينمو الشعر على جسمها طبعاً. ثم على وجهها. وجهها فقط. دعينا الآن

من الشَّعر وحدثوني عن الشِّعر. قولي لي كيف نخلص إنساناً من مشاعره؟

المربية: بالكاثارسيس يا مولاي.

الملك: الكاثارسيس؟ ما هذا؟

المربية: لا شك أن مولانا يمزح. ليس معقولاً أنه لا يعرف أرسطو.

الملك: أعرفه. أعرفه. كنت أعرفه. كنت أعرفه ونسيته. مشاغل الملك ليست هينة يا امرأة. قولي لي الآن ما هي هذه الكاثارسيس؟

المربية: هي يا مولاي تصعيد للانفعالات من أجل التطهر منها. يقول أرسطو إن الكاثارسيس هو التطهير من الخوف والشفقة.

الملك: **(يتطلع إلى التابع)** الخوف والشفقة؟ ألم تخلّص الأميرة منهما؟ ماذا كنت تفعل حتى الآن إذن؟

التابع: الخوف والشفقة يا مولاي.. هذا ما خلصتها منه طوال سنوات من التدريب والقتال والمصارعة مع البغال والثيران والعزل في الحصن على رأس الجبل. صارت تفقش رأس الخصم كما تفقش البيضة النيئة.

المربية: ولكنني أتحدث عن شيء آخر يا مولاي. بالكاثارسيس نعالج هذه المشاعر.

الملك: **(متظاهراً أنه فهم)**: ها.. علاج. تقصدين العلاج. هذا يعني أن الطب يتقدم في المملكة. عظيم. عظيم.

التابع: وعلاج المشاعر ليس هناك ما هو أسهل منه يا مولاي. فكما عالجت مشاعر الخوف والشفقة عند الأميرة سنعالج

مشاعرها الأخرى. بعض الكونسروة وينتهي الأمر.

الملك: أي كونسروة أيها الغبي؟

التابع: الذي قالت عنه المربية.

الملك: **(متعالماً):** الكاستليتا يا حمار. الكاستليتا لعلاج المشاعر.

المربية: **(مضطرة لتجاهل الأخطاء):** أخشى أنها مشاعر من نوع آخر يا مولاي. أتوقع أن مشكلات الأميرة هي من مشكلات النمو. وهذه لا تعالج بالكاثارسيس. إنها مشاعر مرتبطة بالحب والجنس والعواطف.

الملك: قد تكون فعلاً بعض المشاعر القذرة التي ورثتها عن أمها. ولكن لا. أنا أعرف كيف ربيت ابنتي. ابنتي لا تتعرض لهذه الأعراض البذيئة. أميرتي الفارسة لا تفكر إلا في المجد والسؤدد والكفاح والنضال. وحتى لو تعرضت لهذه المشاعر مثلما يمكن لأي حريص أن يصاب بالزكام، فاجلبي لها بعض هذه الـ..

المربية: الكاثارسيس.

الملك: نعم. اجلبي لها بعض الكاثارسيس. وخلصيها من هذه المشاعر الحقيرة. نحن مقبلون على معركة. اسمعي. ألم تقولي إن كاثارسك هذا يصعّد الانفعالات، كما قلت، لكي يتم التخلص منها؟ عظيم. كيف يشتغل كاثارسك هذا إذن؟

المربية: يشتغل عن طريق الفن.

الملك: لا وقت لدينا للفن. نحن مقبلون على معركة.

التابع: ومولاي يريد أن نصنع منها شاعرة أيضاً.

الملك: نعم. شاعرة. لكي تتخلص من هذه المشاعر.

المربية: شاعرة بلا فن؟ وبلا مشاعر؟

الملك: نعم. شاعرة بلا مشاعر.

المربية: لا أعرف ماذا أقول يا سيدي. ولكن لكي يصير الإنسان شاعراً يحتاج إلى أن يرى العالم بعينين مختلفتين.

الملك: كيف هذا؟ نغير عيني الأميرة؟ أعوذ بالله. أصلاً أجمل ما فيها عيناها. تشبهان عينيّ.

التابع: فعلاً يا مولاي. تشبهان عينيك.

المربية: أقصد يا سيدي أن ترى الأشياء بطريقة خاصة.

التابع: مثلما تحدثتم جلالتكم عن منسف من النساء.

المربية: **(تتطلع فزعة إلى التابع، ثم تنقل نظرها نحو الملك):** هل توقفتم عن الريجيم يا مولاي؟

الأميرة: **(وهي تدخل متوترة):** ما هذه الأحاديث التي أسمعها يا أبي؟

الملك: **(يتطلع بحذر إلى المربية والتابع)** هل سمعت حديثنا؟

الأميرة: يا ألله. أنا مستثارة. إنني أشتعل رغبة.

(يتبادل الملك والمربية والتابع نظرات متوترة).

المربية: **(هامسة)** قلت لك يا مولاي، الرغبات ستفرض نفسها.

الملك: **(مرتاباً):** ما هذا الكلام يا ابنتي؟ لعل حديث الحرب أربكك.

الأميرة: بالعكس. حديث الحرب هو الذي أثارني وجعلني أشتعل.

المربية: الحرب؟

الأميرة: ألا تتحدثون عن الحرب؟ سمعت الناس يتحدثون عن

الحرب. هل ستقوم بهذه السرعة؟ أنا جاهزة. والناس مجتمعون في الساحة. أظن أنهم جاءوا للتطوع. وهذا ما أثارني وجعلني أشتعل رغبة في الوصول إلى ميدان القتال.

الملك: **(مزهواً وهو ينظر إلى التابع والمربية):** أرأيتم؟ ابنتي تثار وتشتعل رغبة لذكر الحروب. وليس لتلك البذاءات التي تفكرون فيها.

الأميرة: متى سنحارب؟

الملك: كنت أفكر في إرسالك إلى الحرب. ما رأيك؟

الأميرة: طبعاً سترسلني إلى الحرب. وإلا لم هذه التدريبات كلها؟ إنني متشوقة إلى فرصة أنفذ فيها كل ما تعلمته عن حياة الفرسان وأساليبهم. وسأريك أنني لا أقل عنك شجاعة وحنكة. وهذا الصعلوك التافه الذي يهدد حدود المملكة من قلعته لن يكون مصيره أفضل من مصير تلك الأميرة الشريرة التي قضيتَ عليها. سأريحك منه إلى الأبد. وأعدك أنني إن لم أضطر لقتله في المعركة فسأجلبه مكبلاً لألقيه بين قدميك، وأجبره على النوم معك.

الملك: **(يصعق):** النوم معي؟

الأميرة: طبعاً. مثلما فعلت بالأميرة المتمردة؟ ألم تغتصبها؟

الملك: من أدخل هذه الكلمات إلى ذهنك؟

الأميرة: أية كلمات؟ **(للتابع):** ألم يغتصبها؟ أنت قلت لي ذلك. **(ثم للملك)** حين حكى لي عما فعلتَه بها ازددت فخراً وإعجاباً بك. أنت مثلي الأعلى الذي لا أريد أن أتشبه

بأحد غيره. وحين ينبت الشعر على وجهي لن أعمل شاربيّ إلا مثل شاربيك.

الملك: **(باعتزاز):** هذه ابنتي. اسمعي يا حبيبتي. إلى أن تجتمع الجيوش وتنتهي الاستعدادات هيئي نفسك لتعلم الشعر. ستذهبين إلى المعركة وأنت شاعرة. ليس هناك ما هو أجمل من الشعراء الفرسان.

الأميرة: الشعر؟ آه صحيح. لقد التقيت بأحد الشعراء. كلامه جميل. أتمنى أن أتعلم الشعر.

الملك: ستتعلمين. وتكتبين أعظم القصائد.

الأميرة: وستكون أولى قصائدي في وصف هذه المعركة وانتصاري فيها.

الملك: **(يمشي معها):** ولكن ما هذا الذي سمعته عن لقائك بالغريب في الغابة؟

الأميرة: تقصد الشاعر الذي التقيت به؟ شخص غريب فعلاً يا أبي. يحكي كلاماً غريباً ويتصرف بطريقة غريبة. تصور أنه وضع يده على رأسي وهو يكلمني. وأحاط كتفي بذراعه. يا ألله. كم كان هذا جميلاً. كم أنا في حاجة إلى ذلك.

الملك: **(وهو يتطلع بغضب نحو التابع):** وضع يده على رأسك؟ وأحاط كتفيك بذراعه؟

التابع: **(للأميرة وكأنه يستنجد):** قولي له كم عمره يا مولاتي.

الأميرة: عمره؟ أظن أنه في عمر أبي. أليس كذلك؟

التابع: نعم. هو في مثل عمرك يا مولاي.

الملك: **(للأميرة):** هل شعرت أنك في حاجة إلى ذلك؟

الأميرة: نعم. لا أعرف كيف أحسست بالأمان وهو يحيط بكتفي.

الملك: **(بلهجة خطابية):** لا شيء يجعل المقاتل يشعر بالأمان إلا سيفه. مفهوم؟

الأميرة: **(بلهجته الخطابية نفسها وكأنها صدى لصوته)** حاضر. **(تحيّي كجندي وتخرج).**

الملك: **(يتابعها بنظره)** يبدو أن الحل الوحيد فعلاً هو زجها في المعركة. وستكون على رأس المحاربين. ولكن تصوري أن تجابه العدو وهي ملأى بـ.. أعوذ بالله. **(يلتفت إلى المربية):** لقد ازددت الآن إصراراً على أن أجعلها شاعرة. الشعر سيلهيها عن هذه التفاهات.

المربية: بصراحة يا مولاي. أخشى أن الأميرة لا تصلح لكتابة الشعر.

الملك: ابنتي؟ ابنتي أنا لا تصلح لكتابة الشعر؟ لماذا؟

التابع: قاموسها فقير يا مولاي.

الملك: قاموسها فقير؟ اشتروا لها قاموساً غنياً.

المربية: أقصد يا مولاي أن لغتها فقيرة.

الملك: اشتروا لها لغة. كم ثمن اللغة؟

المربية: يا سيدي. هذا شيء لا يمكن شراؤه.

الملك: من أين يجلبونه؟

المربية: من التجربة. من الحياة.

الملك: من الحياة؟ من الحياة وتقول لي لغتها فقيرة؟ أليست الحياة كلها تحت تصرفي؟

المربية: نعم يا مولاي. ولكن هذه مسألة أخرى. هذه متعلقة بالتجربة. تجربة سمو الأميرة محدودة.

الملك: محدودة؟ **(للتابع):** ألم تدرس ابنتي على أيدي أفضل المعلمين؟

التابع: طبعاً يا مولاي.

الملك: ألم تحضر تنفيذ الإعدامات؟

التابع: ونفذت بعضها بيدها يا مولاي.

الملك: **(للمربية):** كيف تقولين لي إن تجربتها محدودة إذن؟ **(للتابع)** قل لي: هذا الشاعر الذي سمعته.. هل لديه شهادات عليا؟ هل حضر إعدامات؟ هل نفذها بيديه؟

التابع: **(يفتح سجلاً كبيراً ويقرأ):** لا يا مولاي. إنه يخاف من ظله. وهو لم يدخل المدارس إلا فترة وجيزة.

الملك: وكيف كان يعيش حين كان في عمر ابنتي؟

التابع: عاش مشرداً يا مولاي.

الملك: مشرداً؟

التابع: كان ينام في الحدائق العامة. وكان الخوف غطاءه.

الملك: مم كان يخاف؟

التابع: من الليل والشرطة والبرد والجوع.

الملك: كم كان يأكل من اللحم في اليوم؟

التابع: كان يظل أياماً يقرض أظفاره ولا شيء آخر يأكله.

المربية: ومع ذلك كان يقرض الشعر.

الملك: هل قرض الشعر مرتبط بقرض الأظفار؟ سأجلب لابنتي أظفاراً مصنوعة من الشوكولا لكي تقرضها.

المربية: ما يُقرض في هذه الحالة يا مولاي لا يؤكل.

الملك: من أين كان يأتي بالشعر إذن؟ هل كان يسرقه؟

المربية: ومن أين سيسرقه؟

الملك: من أي مكان. الفقراء يسرقون الكحل من العين.

التابع: كان يحلم دائماً أن يسرق رغيفاً من الخبز. وكان سيبادله بشعر العالم كله. وقد اعترف أنه كان يرى أطفالاً جميلين تشتهي أن تأكلهم برغيف.

المربية: متوحش.

التابع: ومرة فكر أن يسرق أماً. ثم قرر أن يضع ملاءة على صوى الطريق ويناديها: يا أمي.

الملك: أياً كان ما يخرف به هذا المتصعلك، أريد لابنتي أن تكون شاعرة لكي تكتمل فروسيتها.

المربية: ولكنها يجب أن تحتك بالناس.

الملك: الناس؟ **(يشير إلى النافذة)** هذه الأكوام من القذارات التي لا تتفوه إلا بالبذاءات؟ أريد ابنتي شاعرة دون أن تتلوث بالاقتراب من الناس. أليس عندكم استشعار عن بعد؟

صوت الشاعر: قولوا لوطني الصغير والجارح كالنمر.
إنني أرفع سبابتي كتلميذ
طالباً الموت أو الرحيل.
صوت: ولكن لي بذمته بضعة أناشيد عتيقة
من أيام الطفولة، وأريدها الآن.

صوت: لن أصعد عربة أو غيمة،
ولن أقول وداعاً

ما لم يعدها إلي حرفاً حرفاً، ونقطة نقطة.

الملك: ما هذا؟

المربية: الرعاع يا مولاي.

الملك: رعاع؟ وهل ظل في مملكتي رعاع؟

المربية: أبناء المناطق النائية التي لم يستطع عطفكم الكريم أن يصل إليها.

صوت الشاعر: وإذا كان لا يريد أن يراني،
أو يأنف من مجادلتي أمام المارة
فليخاطبني من وراء جدار
أو فليضعها في صرة عتيقة أمام عتبة،
وسأهرع لالتقاطها كالكلب.

صوت المجموعة: مادامت كلمة الحرية في لغتي
على هيئة كرسي صغير للإعدام.

الملك: وهؤلاء، ماذا يريدون؟

التابع: يريدون الطعام والحرية يا مولاي.

الملك: الآن؟ في هذه الظروف العصيبة التي تمر بها أمتنا يفكرون بالطعام والحرية؟ هذا طابور خامس. العدو يريد أن يحدث أزمة تموينية ولذلك أخافهم ودفعهم للتظاهر.

صوت: نريد حرية وخبزاً.

الملك: تسمعون؟ حرية. ومتى يطالبون بها؟ الآن ونحن على أبواب المعركة. يريدون الحرية لكي تدب الفوضى. أدخل علي واحداً منهم. ليمثل أحد هؤلاء الدهماء أمامي قبل أن ينفجر غضبي كالبركان.

الفصل الثاني

التابع: ولكنهم قذرون. وروائحهم ترغم جيشاً على التقهقر.

الملك: وهل سأعانقهم؟ أدخل علي أحدهم وكفاكم نقيقاً كالضفادع.

التابع: حبذا يا مولاي لو أمرت باستقبال أحدهم في قاعة أخرى غير قاعة العرش. لكي لا تستقر روائحهم هنا.

الملك: معك حق. سأراه في الغرفة الأخرى.

المربية: واحد فقط؟ والبقية ماذا يفعلون؟

الملك: **(للتابع)** اخرج إلى الضابط وقل له أن يجند جميع المتظاهرين في الساحة. سيذهب الجميع إلى المعركة. من يريد أن يأكل من الوطن يجب أن يدافع عنه.

(الملك يخرج)

قاعة شبه عارية (هي التي ستستخدم للمحاكمة في مشهد لاحق).

(يدخل الحارس وهو يشد الزوجة بفظاظة. الزوجة تحمل بيدها بضع سنابل جافة. يجلسها على كرسي في طرف القاعة).

الحارس: اجلسي هنا ولا تتحركي. **(تجلس بصمت. يتأملها باستخفاف)**: ألم يكن من الأفضل أن تستغني عن هذا الكنز؟

الزوجة: **(تتطلع إلى السنابل)** ألا يجب أن أقدم للملك شيئاً؟

الحارس: وتقدمين سنابل جافة؟ أهذه هدية تليق بملك؟ الناس يجلبون زهوراً.

الزوجة: أنا لم أجلب هدية. هذه عريضة.

الحارس: عريضة؟ ماذا تقصدين؟

الزوجة: سيقرأها الملك ويعرف أن كل ما في حياتنا قد صار جافاً.

الحارس: طيب. هاتيها. سنضعها في الأرشيف.

الزوجة: أي أرشيف؟ هذه ستبقى معي.

الحارس: ألم تقولي..؟

الزوجة: **(مقاطعة)** السنابل ستبقى معي بعد أن يراها الملك. وإلا كيف سيعرفني أولادي وأهل تربتي بعد خروجي من هنا؟

الحارس: **(مستغرباً ومستسخفاً الأمر)**: ولله في خلقه شؤون.

الزوجة: اسمع يا هذا. قل لي كيف هو الملك؟

الحارس: الملك ملك.

الزوجة: معك حق. الملك ملك. الحمد لله. أخيراً سأرى ملكاً. **(يدخل التابع والمربية).**

المربية: هذه هي؟

التابع: ألا تفي بالغرض؟

المربية: **(وهي تتأمل الزوجة)**: ربما.

الحارس: ألم نكن نستطيع أن نجلب غير هذه المرأة؟

التابع: **(هامساً)**: الملك يريد للأميرة أن تصبح شاعرة. وحضرتها **(يقصد المربية)** قالت إن الشعر لا يأتي إلا من البؤس. جلبنا عينة من البؤس للأميرة لكي تراها وتصبح شاعرة. هذا أفضل من احتكاكها بقذاراتهم وبذاءاتهم. لقد أرسلت في طلب الأميرة.

الحارس: ولكنني فهمت أن الملك كان يريد من يُسمعه مطالب الناس.

التابع: تعليم الأميرة أكثر أهمية. وقد تستطيع هذه المرأة أن تقول شيئاً عن شكوى جماعتها. نضرب عصفورين بحجر.

الحارس: المرأة تقول إن معها عريضة هي هذه السنابل الجافة التي في يدها.

الأميرة: **(وهي تدخل)**: قيل لي إنكم تريدونني هنا. ما الأمر؟

التابع: **(يقترب منها)**: جلبنا لك عينة من البؤس تساعدك على كتابة الشعر.

الأميرة: أسرعوا. ولا تضيعوا الكثير من الوقت. الجيش جاهز وسأنطلق إلى المعركة فور وصل أبي لمباركتي.

المربية: **(تهمس للأميرة)**: انتبهي للحوار يا مولاتي. **(للزوجة)** هل تعرفين ما هو الحبار؟

الزوجة: الحبار؟ غير الحباري؟

المربية: **(تضحك لافتة نظر الأميرة لكي تشاركها الضحك)** طبعاً يا جاهلة. الحباري طير صحراوي. والحبار مخلوق مائي.

الأميرة: معها حق أن لا تعرف. أنا لا أعرف ما هو الحبار. اسألوها عن أشياء من بيئتها.

التابع: لا تدعيها تسمعك يا مولاتي. تابعي معي. **(للزوجة)** أتعرفين ما هي الصراصير؟

الزوجة: ما هذه؟

المربية: الصراصير. ألا تعرفين ما هي الصراصير؟

الزوجة: ما هي الصراصير؟

التابع: حشرات ذات أرجل متعددة. لونها أسود أو أحمر.

الزوجة: تقصد الماموش؟

الأميرة: وما هو الماموش؟

الزوجة: حشرة كما تصفها هذه المرأة. حشرة ذات أرجل عديدة. ولونها أحمر أو أسود.

المربية: وتأتي إلى البيوت؟

الزوجة: وماذا تفعل في البيوت؟ هذه حشرات تأكل المزروعات. ونحن نتعب كثيراً في محاربتها في الحقول والبساتين.

المربية: ونحن نحارب الصراصير. ولكن في البيوت.

الزوجة: عجيب؟ هل تزرعون في البيوت؟

المربية: لا. هذه تأتي من الحمّامات.

الزوجة: الحمّامات؟

المربية: أقصد حيث... ماذا أقول لك. حيث نفعلها. حيث نقضي الحاجة.

الزوجة: **(مندهشة)** تقضون الحاجة في البيوت؟

المربية: في أماكن مخصصة. وحين لا تنظف هذه الأماكن جيداً تخرج منها الصراصير.

الزوجة: نحن نقضي حاجاتنا في البرية. ولكننا عمرنا لم نر الصراصير التي تحكين عنها.

الأميرة: معقول؟

الملك: **(يدخل، ويقف ليستمع).**

الأميرة: **(تراه فتندفع نحوه)** إسمع يا أبي. هذه المرأة لا تعرف ما هي الصراصير. يا إلهي. كم هم متخلفون؟

التابع: يا مولاتي. التخلف له أشكال متعددة. هؤلاء لم

يسمعوا حتى بالروماتيزم. لا يعرفون حتى اليوريك أسيد. أو الشحوم الثلاثية. هناك من لم يسمعوا حتى بالإيدز.

الملك: معقول؟ أين يعيشون؟ كأنهم ليسوا في مملكتي. **(للزوجة)** كيف لم تسمعي بالصراصير يا امرأة؟

التابع: صحيح. كيف لم تسمعي بالصراصير؟ كيف يستطيع إنسان أن يعيش دون صراصير؟

الزوجة: **(باعتزاز)** هل تعرفون أنتم ما هو الصئبان؟

الأميرة: غير الصيصان؟

الزوجة: طبعاً غير الصيصان. الصيصان صغار الدجاج. الصئبان بيوض.

(الأميرة تتطلع إلى الجميع مستفهمة).

المربية: **(تهمس لها)** الصئبان يا مولاتي. أعني. طالما أنها من البيوض فقد تكون نوعاً من الكافيار.

الأميرة: كافيار؟

الزوجة: وما هو الكافيار؟

الأميرة: لا تعرفين؟ **(تضحك ساخرة)**: لا تعرف ما هو الكافيار.

الزوجة: أنا أعرف الكفار. ولا أعرف ما هو الكافيار. ولكن الصئبان تنغرز في الجسم.. آه تذكرت زوجي. كان ينغرز في لحمي كالصئبان.

الأميرة: ألا تقولين لي ما هي الصئبان؟

الزوجة: هي بيوض القمل.

الأميرة: القمل؟ وما هو القمل؟

الزوجة: **(تضحك ساخرة تقليداً لضحكة الأميرة):** تصوروا أنها لا تعرف ما هو القمل. حشرة تنمو على الأجساد.

التابع: حشرة متخصصة بالفقراء.

الزوجة: لا يا مولاي. متخصصة بالوسخين. الفقر شيء. والوسخ شيء آخر. القمل حشرة تأتي مع الوسخ.

المربية: تلك الحشرة التي تعيش على الخيل والبقر.

الزوجة: لا. هذا اسمه القراد.

الملك: قمل. قراد. من أين تجلبين هذه القافات كلها يا امرأة؟

الزوجة: عندنا الكثير منها. هناك أيضاً القرف والقرود والقسوة. وعندنا القرحة أيضاً. لسنا معدمين إلى الدرجة التي تتصورونها.

الأميرة: وعندكم قرحة أيضاً؟

الزوجة: طبعاً.

المربية: لا. هكذا يشرشحون القرحة.

التابع: **(بلهجة خطابية)** هذه أفضال مولانا الملك. إنه لا يترك شيئاً إلا ويوزعه على الشعب.

الملك: عندكم هذه القافات كلها وتدّعون الفقر؟

الزوجة: وعندنا الفقر يا مولاي. هذه القاف نسيتها.

الأميرة: كفى. لم أعد أطيق سماعها. بخشت طبلة أذني. **(أصوات الأبواق ترتفع)** هذه هي الأصوات التي تنعشني.

الملك: معك حق. إنك تضيعين وقتك مع هذه الحثالة. هيا أيتها الفارسة النبيلة. أبواق الحرب تناديك.

الأميرة: **(باستعراضية خطابية)** إلى الحرب. إلى النصر. إلى المجد. ولكن اسمح لي بكلمة مع هذه المرأة.

الملك: **(بثقة)** بدل الكلمة عشر كلمات.

الأميرة: **(تنتحي بالزوجة جانباً)** اسمعيني أرجوك. هؤلاء كلهم لا يفهمون ما أعانيه. هل تضعين حزاماً حديداً حول صدرك؟

الزوجة: **(تشهق)**: حزام حديدي؟ لماذا؟ كيف سأرضع أطفالي لو وضعته؟

الأميرة: لا ترفعي صوتك. أنا ليس عندي أطفال أرضعهم. ولكنني أشعر أن صدري فيه أشياء أخرى غير الإرضاع. كأن لهذا الانتفاخ وظائف أخرى. بماذا كان صدرك ينفعك قبل الأطفال؟

الزوجة: **(تضحك)**: هنا تريدين أن نتحدث عن ذلك؟ إذا التقينا وحدنا ذات يوم سأحدثك عن هذا الانتفاخ. ألم تحدثك أمك؟

الملك: **(متدخلاً)**: كفى. ستجدين الوقت الكافي لأي حديث بعد عودتك من المعركة.

الأميرة: ولكن صدري يؤلمني يا أبي.

الملك: قلت لك الألم ممنوع.

الأميرة: أعرف. وأنا أتحمل الآلام. ولكن هذه الدرع ضيقة على صدري. والألم منها.

الملك: هذه أبسط الأشياء التي تتعلمين تحملها في سبيل المجد. هيا إلى المجد أيتها الفارس.

الأميرة: **(متحاملة على نفسها)**: إلى المجد. **(تخرج الأميرة)**.

الملك: **(للزوجة)** قولي الآن. ماذا تريدين يا امرأة؟

التابع: **(وهو يشدها):** تعالي قولي له ماذا تريدين.

الزوجة: لن أقول إلا أمام الملك.

التابع: أنت أمام الملك.

الزوجة: وأين هو الملك؟

المربية: ألا ترينه؟

الزوجة: هذا؟ ولكن هذا رجل.

المربية: طبعاً رجل. ولكنه الملك.

التابع: هل كنت تتوقعين أن الملك نعامة؟

المربية: ألا تحسين بوهج جلالته؟

الملك: كفاك يا امرأة. قولي ما الذي تريدينه.

الزوجة: **(تقدم له السنابل):** أنظر يا مولاي. لقد جفت السنابل دون أن تنضج، وهزلت المواشي.

الملك: **(يتطلع إلى التابع):** أوضح لي بلغة بسيطة. ماذا تريد هذه المرأة؟

التابع: تريد المطر يا مولاي.

الملك: هل لدينا ميزانية لذلك؟

التابع: في ظروف الحرب؟ لا أظن يا مولاي.

الزوجة: ولكن المطر لا يحتاج إلى ميزانية. المطر ينزل من الغيم.

الملك: **(يتطلع إلى التابع):** لماذا لم ينزل المطر عندهم؟

التابع: لأنهم مليئون بالخطايا يا مولاي. والمطر لا ينزل على الخاطئين. إن الله غاضب منهم. وهو يحل لعنته عليهم.

الزوجة: علينا؟ علينا نحن؟ حتى الله يغضب علينا؟ ولماذا يغضب؟

ألا يكفينا ما نحن فيه؟ إذا كان لا يريد أن يرأف بنا وأن يشبعنا فلماذا خلقنا؟ وهل كنا نوقظه بسباباتنا كي يخلقنا؟

الملك: كفى. لا تدخلوا الله في شؤوني. أنزلوا لهم المطر.

المربية: ولكن السماء لا تمطر بالأوامر يا مولاي.

الملك: أطلقوا عليها الرصاص.

التابع: ولكن الغيوم بعيدة.

الملك: ضعوا السلالم واصعدوا إليها. هزوها كالعرائش، ودعوا شعبي يلتقطِ مطره من بين قدمي.

أصوات: **(من الخارج)** تساقطت الطيور كأوراق الشجر،
وجف الأطفال مثل العيدان.
ونحن جائعون.

الملك: ماذا يقولون؟

الزوجة: يقولون إنهم جائعون.

الملك: فليأكلوا طيورهم وأطفالهم.

الزوجة: حتى أوراق الورود اليابسة لففناها كالملح في صرر صغيرة.

الملك: أنا لا أتحمل ثرثرات النساء. كيف جلبتم هذه القمامة إلى قصري؟

التابع: هذه جلبناها من أجل الأميرة. كي تتعلم البؤس.

الملك: انتهينا من هذا. أدخل علي رجلاً لكي أفهم ماذا يقول.

التابع: **(وهو يطل من النافذة):** لقد ذهب الجميع مع الأميرة في الجيش.

الملك: ولم يبق أحد؟

التابع: هناك رجل وحيد. كأنه ينتظر أحداً ما.

الملك: ناده.

المربية: حاضر. **(يطل من النافذة):** تعال أنت. نعم. نعم. أنت. تعال. الملك يريد أن يراك.

صوت الشاعر: قل له إنني قادم كالسيل.

الزوجة: **(متهللة):** كأنه صوت زوجي.

الملك: **(وهو يطل من النافذة الأخرى)** الله. تعالوا انظروا إلى الأميرة. الله ما أجملها وهي على ظهر الحصان.

المربية: **(تقترب منه)** الأميرة؟ نعم. لا تستطيع تمييزها عن أي فارس مغوار.

الملك: ستنتصر. ألن تنتصر؟

المربية: طبعاً ستنتصر. طالما أنها تدربت تحت إشرافكم وتحارب حسب توجيهاتكم.

الملك: إنها تلوح بيدها. ما الذي تريد أن تقوله؟

المربية: إنها تودعك.

الملك: ولكنها تنزل عن حصانها.

المربية: إنها عائدة إلى هنا.

الملك: ما الذي أرجعها؟

(الشاعر يدخل وهو يتلفت حوله)

الزوجة: **(تهجم عليه وتعانقه)** حبيبي.

الشاعر: **(وهو يعانقها)** حبيبتي. من كان يتصور أننا سنلتقي في مكان كهذا؟

الزوجة: أين كنت؟ لقد فتشت الدنيا بحثاً عنك كما أفتش الفراش بحثاً عن البراغيث.

الشاعر: وأنا الذي خفت أن تكونوا نسيتموني.

الزوجة: لم أعرف للنسيان ساقين، ومع ذلك كان يذهب ويجيء كحصان جموح.

الشاعر: هكذا نسيت الرجوع ورأيت الصقيع يتدلى من الشفاه كالثمار المحرمة.

الزوجة: أما نحن فلم ننس الشوق والانتظار.

الشاعر: قالوا لي إنك دخلت إلى هنا. فوقفت أنتظرك. ذهب الجميع إلى الحرب. وبقيت وحدي. **(يبتسم لها بحزن):** كالعادة. لا أعرف كيف لا أرى نفسي إلا وحيداً.

الزوجة: يا حبيبي. إلى متى ستظل وحدك؟

التابع: كفى يا امرأة. أنت في حضرة جلالته. **(الملك ينتبه إلى الشاعر وزوجته).**

الزوجة: وهل وجود جلالته يمنع الأشواق والعواطف والمشاعر؟

الملك: **(وهو ينظر بحدة إلى المربية):** مشاعر؟ حتى هؤلاء لديهم مشاعر؟ وتريدين أن تكون لابنتي مشاعر مثل هؤلاء؟ **(يعود إلى كرسيه دون أن ينتظر الجواب).**

الزوجة: **(تلتفت إلى الشاعر):** كنت أشتهي أن أحتمي بك. لكن شجاعتي تخونني. ففي صدري ذل عريق.

الشاعر: وأنا لا أستطيع أن أحميك لأنني مستباح. إنني عاجز حتى عن حماية العرق الذي تحت إبطي. **(يتأملها متجاهلاً الجميع)** ولم تلدي بعد؟

الزوجة: وهل من المعقول أن ألد وأنت لست معي؟ تصور لو وضعت الوليد وأنت غائب. ماذا كنت سأفعل بوقتي كله؟ أظل بلا عمل؟

الشاعر: وأين تركت الأولاد؟

الزوجة: ينتظرونني في الخارج. ألم ترهم؟

الشاعر: لا بد أنهم خافوا فاختبأوا في مكان ما.

الزوجة: لم يرثوا عنك إلا هذا الخوف.

التابع: هل ستبحثان شؤونكما العائلية هنا؟ ألا تقدران أنكما في حضرة الملك؟

الأميرة: **(تدخل)**.

الملك: ما الذي أرجعك؟

الأميرة: رأيت الشاعر يدخل فأحببت أن أراه قبل أن أذهب.

الملك: أهذا وقت الشعر يا ابنتي؟

الأميرة: **(لا تهتم. تقترب من الشاعر وزوجته)** أنت الشاعر. أليس كذلك؟

الشاعر: نعم. أنا.

الأميرة: لا أعرف كيف أشكرك. منذ التقيت بك تغير فيّ شيء لم أفهمه بعد. تعرفت إلى أشياء جديدة لم تكن في عالمي.

التابع: **(يتنحنح ويهمس للملك منبهاً)**: الأشياء الجديدة. المشاعر والنهود..

الملك: أهذا ما علمك إياه هذا المأفون؟

الأميرة: لا يا أبي. علمني شيئاً آخر. علمني الحزن. الحزن يا أبي. هل سمعت ماذا قال عن الحزن؟

أيها الحزن
يا سيفي الطويل المجعد
الرصيف الحامل طفله الأشقر
يسأل عن وردة أو أسير
عن سفينة وغيمة من الوطن

الملك: لا يصح أن تتحدثي عن الحزن وأنت مقبلة على معركة. الحزن يشل الهمة، ويقعد عن الحركة ويعيق الإقدام.

الأميرة: لا يا أبي. هذا الرجل يتحدث عن الحزن بطريقة أخرى. يتحدث عنه كأنه صديق أو حبيب. **(تسترسل)**:

لفني يا حبيبي
لفني أيها الحزن
لفني أيها الفارس الوثني الهزيل

الملك: **(يتطلع إلى التابع متسائلاً بغضب)** لفني يا حبيبي؟

التابع: **(خائفاً)** هذا كلامه هو **(مستدركاً)** وهو لا يقصد الحبيب. يقصد الحزن.

الأميرة: **(تتابع)**:

إنني أكثر حركة
من زهور الخوخ العالية
من زورقين أخضرين في عيني طفلة.

الملك: انتهينا. ألم أقل لك إنني سأعلمك الشعر؟ ستكتبين عن الأمجاد والعزة والكبرياء. وليس عن الأحزان الذليلة.

الأميرة: نعم. سأفعل. **(تتطلع إلى الزوجة الواقفة قرب الشاعر)**: أنت تعرف هذه المرأة؟

الشاعر: هذه زوجتي.

الأميرة: أهذه زوجتك التي قلت عنها الأشعار؟

الشاعر: هي.

الأميرة: **(تضحك)**: هذه؟

الشاعر: ولماذا تستغربين؟

الأميرة: إنها لا تعبئ العين. كيف تعبئ بيتاً من الشعر؟

الشاعر: لأنها تعبئ قلبي.

الأميرة: هذه؟ لا أصدق.

الشاعر: نعم يا مولاتي. هذه. لو رأيتها قبل أن يفتك بها الجوع والتشرد والشوق والخوف.

الأميرة: الخوف؟ هذه تخاف؟ من ماذا تخاف؟

الشاعر: تخاف أن تستيقظ في أي يوم فترى الفصول ناقصة.

الملك: اتركيهما الآن. واذهبي إلى معركتك يا ابنتي. ألم يجتمع الجيش؟

الأميرة: أكثر مما كنت أتوقع. من أين هذا العدد الكبير كله؟

الملك: أبناء القرى الذين جاءوا يتظاهرون عند بابي. عبأتهم كلهم للحملة العسكرية. شعاري هو: من يريد أن يأكل من الوطن يجب أن يدافع عنه.

الأميرة: **(تتطلع إلى الشاعر)**: وأنت؟ ألا تريد أن تحارب؟

الشاعر: لا.

الأميرة: لماذا؟ ألا يهمك الوطن؟

الشاعر: يهمني. ويعجبني شعار أبيك الملك. من يريد أن يأكل من الوطن يجب أن يدافع عنه. هذا يعفي اثنين من

الذهاب إلى الحرب.

الأميرة: من؟

الشاعر: من يريد أن يأكل من الوطن يجب أن يدافع عنه. أليس كذلك؟ هذا يعني أن الذين يأكلون الوطن لا يذهبون إلى الحرب.

الأميرة: وأنت منهم؟ مِنَ الذين يأكلون الوطن؟

الشاعر: لا يا أميرتي. أنا من الذين يأكلهم الوطن. فلا يبقي فيهم قدرة حتى على الموت من أجله.

الأميرة: تتحدث كلاماً غير مفهوم أحياناً.

الملك: لذا أفضل أن لا تضيعي معه من الوقت أكثر من ذلك. المعركة تنتظرك يا ابنتي.

الأميرة: حاضر. **(للشاعر)**: أتمنى أن أعود بسرعة. هناك الكثير مما يجب أن نتحدث عنه. **(تلتفت إلى أبيها. تحيي وتخرج)**.

الملك: **(يتطلع إلى التابع والمربية)**: لست مرتاحاً. فيها أشياء متغيرة فعلاً.

التابع: ولكن زجها في المعركة سينسيها هذه التفاهات كلها.

المربية: أرجو من مولاي أن ينتهي من الرجل لكي نصرفه.

الملك: **(يتأمل الشاعر)**: رجل؟ هذا رجل؟ يجب أن تكتبوا عليه كلمة رجل ذلك لكي أميزه عن الماعز.

الشاعر: **(يتأمل الملك بإمعان)**: ألم تعرفني؟ أنا عرفتك. أنت ذو القلب الرحيم الذي كان يبكي في السجن لأن طائراً يغرد مستوحشاً، ولأن ساقية تنام في العراء.

الملك: من هذا الذي يتكلم معي وكأنني صديق قديم؟

الشاعر: أنا الذي رافقتك في السجن، ورافقتك عندما كنت تقطع الصحراء وحيداً وقذراً في الطريق إلى هنا. لم نأكل عشباً يابساً فحسب. بل أكلنا طيوراً حية أنهت تغريدها في أحشائك.

المربية: **(هامسة):** مولاي. لا يصح أن يعرفوا هذا عنك.

الشاعر: **(وقد سمعها)** بل يجب أن يعرفوا. حين كان في السجن كان يقرط الرمل بين أضراسه.

الملك: اخرس أيها المتشرد التافه. إن الدم الأزرق يجري في عروقي قبل أن أتكوّن في بطن أمي.

التابع: **(يتقدم ليطرد الشاعر)** هيا. هيا. انقلع من هنا.

الشاعر: لست شجرة حتى أنقلع. أنا صديق لهذا الرجل. وقد تقاسمنا السياط مثلما تقاسمنا الخبز اليابس والقمل.

المربية: قمل؟ مولانا يعرف القمل؟

الزوجة: يقولون إنهم لا يعرفون ما هو القمل.

الشاعر: لا يعرف القمل؟ وما ذاك الذي كنت أنسله من رأسك ونحن نتسامر في ليالي السجن؟

التابع: ما هذا التخريف أيها المخرب الموتور؟

الشاعر: لماذا تنهرونني؟ اسألوه. دعوه يحكي لكم كم كنت أستيقظ في الليل لأغطي له قدميه وأمنحه بطانيتي الوحيدة في ليل السجن البارد.

الملك: اسمع أيها الشيء اللعين. قبل أن تبذر عواطفك سدى. أريد أن أوضح لك أمراً ما. إنني لا أنكر معرفتي بوجهك النتن هذا. ولكن كمعرفتي بصحن قديم لا أكثر.

الزوجة: يا إلهي. ماذا يقول؟

المربية: يقول ما يريد. هل تريدينه أن يستأذنك في ما يقول؟

الملك: نعم. أنا أقول ما أريد. ويبدو أنني مضطر للتحدث أمامك كما يحني الفارس رأسه ليربط حذاءه.

الشاعر: يا إلهي. إنني ما زلت أحس بدموعه حين كان ينتحب على صدري. **(بلهجة باكية)** لم يكن لي صديق في السجن غيرك. ولم يكن لك صديق غيري. وبعد خروجنا من السجن لم أجد صديقاً ولا بيتاً ولا قرية ولا أطفالاً. بحثت عنك أكثر مما بحثت عن زوجتي وأولادي. كنت في حاجة إلى صديق. ولم يخطر لي أنك صرت ملكاً. كنت أريد صديقاً لا ملكاً.

التابع: الملك صديق الشعب كله.

الشاعر: ولكنه لا يصلح صديقاً لي. أنا الذي لا يملك شيئاً في الدنيا لم أكن أطالب إلا بصديق. آه كم كنت في حاجة إلى صديق أو امرأة.

الملك: وهل تتوقع مني أن أخرج لك حورية من جيبي. طالما أنك لا تملك شيئاً فلماذا تستقتل من أجل صديق؟

الشاعر: يجب أن يكون لي شيء ما.

الملك: ها أنت تستعيد زوجتك.

الشاعر: ولكنني أريد صديقاً أيضاً.

الملك: حسن. صادق قدمي إذن.

(صمت).

الشاعر: لن تمنحني الصديق. سأسكت عن هذا. سنستغني عن الصداقة والحب. ولكن شعبك يريد المطر.

الملك: شعبي نسي المطر واندفع إلى المعركة. **(ينزل عن كرسيه**

ويحكي وهو يتمشى متحاشياً النظر إلى الشاعر). إنك مشاغب منحط. تعلم الغوغاء أن يطالبوا بالمطر. ولكن يجب أن تعلم أن المطر والحب ليسا في خزائني لأعطيك حفنة من أي منهما. فما الذي تريده غير ذلك؟

الشاعر: أريد ثمن الهوان القديم من الألف إلى الياء. ثمن كل إطراقة وهلع وامتقاع وجه على الحدود، وثمن كل صرخة أو آهة في غرف التحقيق. ثمن كل عصفور خرج من سماء الوطن ولم يعد. وكل سنونو عاد إليها وانقطعت أخباره. وثمن الدموع التي تعفنت في مجاريها لأن أحداً لم يسمح لها بالعبور خارج القصيدة. أريد حصتي من الشمس والقمر والنجوم والشروق والعبور. من الحقول والسهول والجبال والوديان والحر والقر والمناخ المعتدل، والأنهار والسواقي والينابيع والسفن والأمواج والرياح وذرى الأمواج وقاع المحيطات من الكهوف والمغاور والأوابد الأثرية، من البرق والرعد والصواعق وأغاني الرعاة والصيادين والملاحين، من الغسق والضحى، من الربيع الخريف، من السيول والحرائق والفيضانات، من الماضي والحاضر والمستقبل، أريد حصتي حتى من التصحر وتلوث البيئة.

الملك: **(يضع يديه على أذنيه وهو يصرخ)** كفى.

التابع: **(للشاعر)** هكذا ستصيب خزائن مولانا بالإفلاس.

الشاعر: ولكن حتى لو أعطيتموني هذا كله فهو لا يغنيني عن الصديق.

الملك: كفى. هيا اغرب عن وجهي. قبل أن أملأ هذه البالوعة من دمك القذر.

المربية: لم نفهم شيئاً مما قال.

الشاعر: طبعاً لن تفهموا شيئاً. **(للملك وهو يشير إلى الخارج)** أتعرف لماذا جاءك هؤلاء البؤساء؟ لقد جاءوا من قرى بعيدة لا يعلم إلا الله أين تقع. جاءوا يحملون السنابل المحطمة. لا لتعيدها خضراء. ولا لتنزل لهم المطر. ولكن لتقول لهم فقط: حسن أيها الأصدقاء القدامى. لقد رأيتها. عودوا إلى منازلكم.

الملك: أنصحك أن تحمل متاعك وزوجتك وتخرج قبل أن ينفجر غضبي.

الشاعر: لا. لن أحمل متاعي وأرحل قبل أن تقول لي بطريقة ما: وداعاً أيها الصديق القديم.

الملك: لا وقت لدي.

التابع: ألا تسمع الأخبار؟ ألا تعرف كم تحاك ضد بلادنا الصامدة من مؤامرات؟ ألا تعرف أننا الآن في حرب؟ لقد أرسل مولانا ابنته وفلذة كبده أمامك على رأس الجيش.

الشاعر: **(للملك)**: ولكنها كلمة واحدة. كلمة صديق. كلمة صغيرة كنملة. أتخاف منها أيها الصديق؟

الملك: لست خائفاً أيها الوغد.

التابع: ليس خائفاً أيها الوغد.

الشاعر: أيحتاج صوتك إلى هذا الصدى؟ يجب أن يحتاج. لأنه لا يصل إلى الناس ولم يعد يصطدم بالجدران كما كان يصطدم وهو يتفجر في السجن. ألا تذكر كم كنت أحدثك عن أطفالي؟

الملك: **(يمسك به من قميصه):** اسمع أيها الأبله. كم لديك من الأطفال؟

الشاعر: بعدد ما على طاولتك من دبابيس.

الملك: لنفترض أنهم عشرة. عشرة دبابيس. لأنك حتماً من فصيلة الأرانب. يكفي أن تطعمهم بعض الحساء والدقيق حتى يملأوا العالم أناشيد عن بر الوالدين. أما أنا فعندي في رزمة بسيطة من المصنفات مئات بل آلاف الأطفال. التاريخ طفل. والوطن طفل. والمستقبل طفل. وعلي أن أرضعهم كلهم الخشب والحليب والدم والعرق والرصاص والسحب دفعة واحدة، وإلا تحولوا جميعاً إلى جراء ضارية تنبح مثلما جئتم تنبحون عند بابي.

الشاعر: ولكن ما قاسيناه وقاسته نساؤنا..

الملك: **(مقاطعاً بانفعال):** لتذهب إلى جهنم! أعرف سلفاً ما ستقوله عن النوم والارتجاف في العراء. أما أنا فأقول لك إن الرذاذ الذي تطاير من فمي أيام الكفاح المرير كاف لري نصف مزارعكم.

الشاعر: ولكن من أجل ماذا كان ذلك الكفاح المرير؟

الملك: من أجل الشعب.

الشاعر: وهل نحن من الأبقار؟

الملك: أيها الحرس. أخرجوه من حضرتي. صار لسانه أطول من سوطي.

(التابع والحارس يمسكان به).

الشاعر: سنخرج دون مرافقة. ولكن أرجوك أيها الصديق القديم. قل لهم أن لا يعيدوني إلى السجن.

الملك: سأعفو عنك الآن. فهيا إلى بواليعك القذرة قبل أن أغير رأيي.

(يخرج الشاعر ومعه زوجته وهما يلوحان بالسنابل الجافة وهما يهتفان).

الاثنان معاً: نريد حباً. نريد مطراً. يحيا المطر صديق الفقراء.

أصوات أطفال (في الخارج): نريد حباً. نريد مطراً. يحيا المطر صديق الفقراء.

الملك: أنا أشتبه بهؤلاء الذين يتشبثون بالصداقات القديمة ويقفون ضد التطور. (وكأنه يريد أن يبرر نفسه) أنا أحب الشعب. أحب هؤلاء الفلاحين. أحب القصائد عنهم في الكتب. ووجوههم في المجلات الملونة حيث هم وحيدون وناعمون على الورق. وأحب مظاهرات تأييدهم في الشوارع، حيث ذرات الجبن تلمع تحت شواربهم كالثلج. أما وجهاً لوجه، وأنت تسمع زفيرهم وتشم رائحة عرقهم ورائحة الثوم من أفواههم فهذا ما يجعلني أنفر منهم ومن العالم أجمع كما ينفر الطائر من الرصاصة.

صوت الشاعر وزوجته مع أصوات الأطفال: نريد حباً. نريد مطراً. يحيا المطر صديق الفقراء.

الملك: أوقفوا هؤلاء المشاغبين. وضعوا اسم المطر على الحدود.

التابع: حاضر. (يخرج).

المربية: بقيت كلمة أخيرة يا مولاي. ليس من مصلحتك بقاء شخص كهذا.

الملك: لأنه يهتف للمطر؟

المربية: بل لأنه يقول إنه صديقك. شخص كهذا، إما أن تعترف بصداقته أو تزيله من الوجود.

الملك: إزالته أسهل من قبول صداقته. سأرسل من يتعقب خطاه ويراقب حركاته المشبوهة.

المحكمة:

(الضابط هو القاضي. يجلس على المنصة. التابع يمثل النائب العام. الحارس واقف، ولكنه ذو صلاحيات ويتطاول على المحكمة).

التابع: ليس من أغرب الأمور، بل من أكثرها شناعة واستهتاراً بالمثل والتقاليد والقيم أن يخرج فقير قذر لم ير في حياته سحابة أو عصفوراً ويتجول حافياً مع زوجته وأطفاله وهو يطالب بالمطر والحب. أدخلوه. **(يدخل الشاعر ووراءه زوجته التي تكاد تبدو عارية بسبب ملابسها الممزقة. تلتصق به كأنها تختبئ أو تحتمي. للقاضي)** شف شغلك.

القاضي: هيا تقدم أيها المتهم.

الشاعر: لقد تقدمت ما فيه الكفاية يا سيدي.

الحارس: **(يصفعه):** نحن الذين نقدر متى نكتفي من التقدم. التقدم شغلنا واختصاصنا. ونحن لا عمل لنا إلا تأمين التقدم للشعب. تقدم.

القاضي: تقدم. ولا تضع وقتنا.

التابع: تقدم ولا تجعل الانكسار والمذلة شعارك الدائم في وطن العزة والإباء.

الشاعر: سيدي. يكاد أنفي أن يلامس حذاءك.

القاضي: وتأنف من حذائي؟ إنه أنظف من كل أنوف العالم. إنه الممثل الشخصي لمولانا الملك.

الشاعر: سأتقدم في الاتجاه الذي تريده العدالة والتاريخ. والمسافة التي ترضي سيدي القاضي. ولكن مهما كان وضعي فأنا أحب أن أخاطب رأساً لا حذاء.

التابع: إننا نطلب منك أن تتقدم لكي تأخذ العدالة مجراها وليس لكي نبكي على صدرك. ولا لكي نتأمل هذه الأسنان المهيأة كالبنادق لقضم أي شيء.

الشاعر: حاضر.

التابع: قبل أن نبدأ المحاكمة. قل لنا ما هي ممتلكاتك.

الشاعر: لا أملك إلا من تبقى من أولادي الذين لن يرثوا عني إلا الخوف وبعض الأحلام.

القاضي: هل تحلم كثيراً؟

الشاعر: نعم يا سيدي. أحلم.

التابع: ألم تعرف أن مولانا الملك قد منع الأحلام وطارد الهواجس السرية التي تحرض على التآمر؟

الشاعر: ولكن أحلامي لا تمس أمن الدولة يا سيدي.

القاضي: بماذا تحلم؟

الشاعر: بأن يموت واحد من أولادي.

التابع: **(مستغرباً):** لماذا؟

الشاعر: لكي ينتبه إلينا الجيران يا سيدي. لم يعد أحد يهتم بالآخر. كلٌّ ربي أسألك نفسي. ليس فقط أنهم لا يعرفون أننا جائعون، بل هم لا يشعرون بموتنا إلا عندما تفوح روائحنا. وعندها فقط يشتكون علينا لأننا نلوث البيئة.

التابع: وبماذا يعود عليك موت ابنك الذي تحلم به؟

الشاعر: اسألوا زوجتي.

التابع: **(يتطلع إلى الزوجة بملابسها الممزقة):** ما هذا يا امرأة؟ هل أنت على شاطئ البحر؟ هيا استري نفسك. أنت أمام العدالة.

الزوجة: لماذا؟ وهل تتهيج العدالة يا سيدي؟

القاضي: للمحكمة احترامها. كان يجب أن تحتشمي قبل أن تأتي إلى هنا.

الشاعر: هذا ما أبقاه عليها جنودكم. تكلمي يا حبيبتي. لا تخافي.

الزوجة **(وهي تلملم ثيابها حول جسدها لتستره تحاول الكلام فيتحشرج صوتها).**

الشاعر: إنك تحتضرين يا يمامتي الغالية.

التابع: ممنوع الاحتضار أثناء المحاكمة. قولي ما لديك يا امرأة.

الزوجة: طوال غياب زوجي في السجن لم نكن نأكل إلا من موت أولادنا. كنت أعلن للناس أن ابني مات. فيقررون أن يظهروا تعاطفهم الإنساني الذي يخبئونه للمناسبات كما يخبئون ربطات العنق وفساتين السهرة. وعندها يحنّون علينا ويرسلون لنا بعض الطعام. فنتعهد لهم أننا سنلقي بالولد الميت في البرية حفاظاً على نظافة الحي وسلامة البيئة، وقبل أن تزعجهم رائحته.

التابع: تحتاجان إلى جيش من الأطفال لكي تؤمنوا طعامكم. بماذا تحلم غير الأكل؟

الشاعر: بالكرامة.

القاضي: كرامة؟ ما لك ولهذه الكماليات؟

التابع: كأنني سمعت كلمة الكرامة هذه من قبل. أين سمعتها يا ترى؟ **(للشاعر)** أنت لديك كرامة؟

الشاعر: **(وهو يكاد يبكي):** نعم. لدي كرامة يا سيدي. لا أعرف من الذي ابتلاني بها. منذ عرفتها أدمنتها كما تدمنون المخدرات والضرب بالسياط. ولم أعد أستطيع العيش من دونها. آه يا سيدي. كم كانت الحياة سهلة لولا هذه الكرامة.

الزوجة: **(كالحالمة):** آه. كم كانت الحياة سهلة لولا هذه الكرامة. هذا المغضوب لا حديث له في الليل أو النهار إلا عن الكرامة. ليته بقي في السجن. لم أعد أفهمه. يقول لي دائماً إنه خسر كرامته في السجن. يا سيدي. زوجي هذا دخل السجن وكرامته معه. ألا يعيدون للسجين أغراضه حين يخرجونه من السجن؟ لماذا لم يعيدوا له كرامته؟

التابع: **(للقاضي):** لا تدعهما يسترسلان.

القاضي: **(للشاعر):** هل جلبت معك محامياً يدافع عنك؟

الشاعر: لا يا سيدي. لم أعتد أن يدافع عني أحد. كل من رأيتهم كانوا يكتفون باتهامي ومطالبتي بالدفاع عن الوطن.

القاضي: لا بأس. ستعين لك المحكمة محامياً. **(يشير إلى الحارس)** ما رأيك بهذا؟

الشاعر: **(يتطلع إليه):** لا يا سيدي.

الحارس: **(يصفعه):** وترفض أيها الحقير؟

القاضي: لم لا تقبل؟ ما هو احتجاجك؟

الشاعر: ليس احتجاجاً يا سيدي. ولكن هذا الرجل لا يصلح أن

يكون محامياً لي. لقد سرق مني طعامي الذي كنت أخبئه لأولادي. أنا أريد محامياً جائعاً.

القاضي: الطلب مرفوض. ليس في المملكة كلها إنسان جائع. فكيف سيكون المحامي جائعاً؟

الزوجة: ولكن نحن جائعون يا سيدي.

التابع: ولذلك أنتم في صف المتهمين. ولستم محسوبين من أبناء شعبنا الميامين. **(للقاضي)** أراهنك أنهما لا يفكران إلا في الأكل. ولا أشك أنهما يفكران الآن في قضم عنقك.

الزوجة **(كأنها لا تسمعه)**: حتى ابني الصغير تغيرت أحلامه. ضبطته مرة وهو يحلم بأكل شقيقته الرضيعة.

القاضي: غيروا لنا حديث الأكل. نحن هنا في محكمة. ولسنا في مطعم.

الشاعر: أعرف ذلك يا سيدي.

التابع: قد تعرف أنك في محكمة ولست في مطعم. ولكنك لن تعرف أبداً أن حياتك كلها مسطرة في هذا الملف. وأن عدالتنا لا تأتي مع الغيوم حتى تتكهن أنت بنتائجها كما تتكهن بمجيء المطر. إنها تختفي وتبرز ساعة تشاء.

الشاعر: أعرف يا سيدي أن عدالتكم تختفي وتبرز كمخالب القط ساعة تشاء. ولكن ما أعرفه أيضاً أنه مهما تكن تلك المخالب صلبة وحادة فإنها تظل مقوسة. ولذلك من المستحيل أن تسير عدالتكم بشكل مستقيم. ثم لا أظن أن هذا الشيء الذي تسميه الملف يمكن أن يكون حياتي، أو حياة مسمار صغير في باب بيتنا المخلوع.

التابع: لقد كتبه رجال مختصون وعادلون. وأي شك في هاتين النقطتين هو كالشك في شرعية وجودنا أو مناصبنا.

الزوجة: ولكن..

القاضي **(صارخاً)**: ولكن ماذا؟

التابع **(للقاضي)**: لا تصرخ كثيراً. لقد ثقبت أذني. **(للزوجة)** هيا قولي. ولكن ماذا؟

الزوجة: لا شيء. ولكنني عندما فكرت منذ لحظة بأن كل ما قاسيته وسأقاسيه من مرض وحزن وجوع ومذلة وزواج وولادة مختصر بهذا الشكل - كحاشية في دفتر بقال - شعرت بأن الحياة ليست غير محتملة فحسب، بل إن مجرد التفكير بها أكثر قسوة من سقوط سيف على رأس القلب.

التابع: هذه المحاكمة ليست وسيلة للتدقيق بالنظارات في شؤون الحزن والزواج والولادة.

الشاعر: أرجو أن تقرأ الوقائع لكي أتعرف إلى تهمتنا يا سيدي.

التابع: ولم العجلة؟ هل نحن في قطار؟

القاضي: أم في مطار؟ **(يضحك وحده سعيداً بالنكتة. الحارس ينتبه إلى أن القاضي يضحك فيفتعل ضحكة. التابع ينظر إليهما بغضب. فيقطعان ضحكهما).**

الشاعر: ليست مسألة عجلة. ولكن لا معنى للانتظار طالما أنني أعرف النتيجة.

التابع: لم يبق إلا أن تقول إنك تعرف الحكم. ماذا نشتغل نحن إذن؟ اقرأ لهذا المدعي.

القاضي: هذا مدعى عليه.

التابع: أعرف. أعرف. ولكنه يدعي المعرفة. اقرأ وفاجئه بما لا يعرفه عن نفسه وعن جرائمه.

القاضي: طيب. سأقرأ.

التابع: اقرأ المقدمة فقط. واترك التفاصيل للتاريخ.

القاضي: **(يقرأ)** منذ عام أو ألف عام أو بعد ألف عام.

التابع: التاريخ غير مهم.

القاضي: **(يتابع)** في الربيع أو في الخريف..

التابع: قلت لك اترك التفاصيل للتاريخ.

القاضي: **(يتابع القراءة)** شوهد هذا الرجل أو شخص يشبهه، أو شخص من فصيلته، بصحبة امرأة ممزقة الثياب مع عدد من الأطفال. يسيرون الهوينا.

التابع: أعجبتني هذه الهوينا. هل نستطيع استخدامها في الشعر؟

القاضي: طبعاً.

التابع: **(يسجل على ورقة)** سأخبئها للأميرة.

القاضي: **(يتابع)** يسيرون الهوينا تحت الغمام الشفاف..

التابع: **(يسجل)** الغمام الشفاف.. وهذه حلوة أيضاً.

القاضي: **(يتابع)** يسيرون تحت الغمام الشفاف بطريقة لا تتفق أبداً مع ما يتطلبه الوطن من صلابة ومجد. ويحمل كل منهم سنبلة جافة كالخشب. **(يعلو صوته)** كانوا يتعانقون ويهتفون علناً في الشوارع المقفرة وأمام النوافذ المغلقة.

التابع: **(يسجل)** النوافذ المقلقة.

القاضي: **(هامساً)** المغلقة.

التابع: المقلقة أقوى.

القاضي: **(يتابع مرغماً)**: وهم يهتفون أمام النوافذ المقلقة بالشعارات المعادية..

الشاعر: نحن هتفنا بشعارات معادية؟

التابع: حدد له هتافاته.

القاضي: كانوا يهتفون: يحيا المطر. يحيا الحب. كما كان المتهم والمتهمة يقبل أحدهما الآخر علانية.

التابع: **(يكتب)** على نية.. التزاني..

القاضي: **(يتابع متجاهلاً)** كلما مرت سحابة من بعيد.

الحارس: متوقعين أن تستر الغيوم فحشهما.

الشاعر: بل متوقعين أن تأتي بالمطر.

القاضي: **(ينظر بحدة إلى الشاعر ويتابع)**: دون أي شعور بالخجل أو المسؤولية الوطنية وهم يلوحون بالسنابل.

الشاعر: وهل كنت تريد منا أن نلوح بالسلاسل؟

التابع: اخرس.

الزوجة: ولماذا يخرس؟ ما الجريمة في أن يحمل عاشقان سنبلتين محطمتين؟ هل تريد أن يحملا مسدسين لكي يكونا مواطنين صالحين؟

التابع: قاطعيه مرة أخرى ليكتمل هذا التقرير بدمك.

القاضي: وعندما اقترب أحد رجالنا المسؤولين عن الأمن والاستقرار للاستفسار منه عن سر هذا التصرف المرعب زجره بقسوة، وضربته المرأة بسنبلتها ضرباً مبرحاً على فمه ويديه. مما سبب له رضوضاً عميقة في كبريائه. وارتمى

على الأرض متمرغاً بدمه. وبدل أن يرفعاه ويضماه إلى صدريهما بحنان التقطا سنابل القمح المضرجة بدمه وراحا يطيران تحت أوراق الخريف.

التابع: يا للهول.

الحارس: يا للهول.

القاضي: ولكن عندما استيقظ المجني عليه لحق بهما فوراً لكي يكمل أداء واجبه وهو يتحامل على جراحه كما يليق بجنودنا البواسل والدم ينزف من فمه وأصابعه. طلب بطاقاتهما الشخصية، والتوقيع، بحرية كاملة يكفلها القانون، على مذكرات بالقبض عليهم، فرفضا.

التابع: (يصرخ) رفضا؟

الحارس: رفضا؟

القاضي: **(يصرخ أكثر وبطريقة خطابية)** رفضا. نعم. رفضا.

التابع: **(يكتب)** رفضوا بإباء وشمم.

القاضي: **(يهمس)** دع الإباء والشمم للجندي الجريح.

التابع: **(يهز برأسه متفهماً).**

القاضي: **(يتابع)** وسخروا منه وهو في قمة آلامه وأوجاعه. حتى أن أحد الأطفال تناول الورقة منه وهزها بيده ثم جعلكها.

التابع: ما هذه؟ جعلكها؟

القاضي: سنوضحها فيما بعد. **(يتابع)** جعلكها ووضعها في فمه وهو يضحك واللعاب الكريه يقطر من فمه الأزرق المتسخ. وراح يضحك ويضحك وهو ينظر إلى عيني الجندي الغاضبتين..

التابع: القانونيتين.

القاضي: القانونيتين. وحين اعتذر الأبوان عن فعلة ابنهما الشنعاء رفض الجندي **(يتطلع إلى الحاجب بتركيز خاص على الكلمتين)** بإباء وشمم.. **(التابع يهز رأسه متفهماً)** أن يقبل اعتذارهما ولم يجد بداً من تأدية واجبه فأطلق النار على الطفل.

الحارس: يحيا العدل.

القاضي: **(الذي أخذه الحماس)** وهنا جن جنون الرجل والمرأة وفقدا كل انتماء وطني وحس بالمسؤولية وتقدير للظروف المصيرية التي تمر بها الأمة فأخذا يزعقان ويشتمان. **(للحاجب)** هل نذكر الشتائم؟

التابع: **(ينظر إلى الورقة أمامه)** هل تستطيعين أن تكرري أمام المحكمة ما قلته له في تلك اللحظة العصيبة من تاريخ الوطن؟

الزوجة: يجب أن أراه لكي أصفه من جديد.

التابع: لسنا هنا في برنامج ما يطلبه المستمعون. نحن نجلب من نريد حينما نريد. ماذا قلت له؟

الشاعر: أنا أقول لك. قالت له: يا ابن الشرموطة؟

التابع: **(ينظر مغضباً إلى الزوجة)**: قلت له ذلك؟

الزوجة: نعم قلت. أمه هكذا.

التابع: أمه التي تزهر الجنة تحت قدميها؟ أنت أمٌّ وتقولين ذلك؟

الزوجة: الأفاعي والعقارب تصير أمهات أيضاً يا سيدي. والذي تحكون عنه أمه هكذا. وهذه ليست شتيمة.

التابع: **(صارخاً)** وصفت أمه التي تنجب الأبطال الميامين ليكونوا

سياج الوطن بهذا الوصف السوقي المبتذل؟ **(ينظر إلى القاضي)** ألفاظ كهذه لا تصلح حتى لأدب الواقعية الاشتراكية.

القاضي: طبعاً. ولكن أليس علينا أن نسمع إفادة المجني عليه؟

التابع: طبعاً. **(للحارس)** أدخل لنا الجندي الجريح.

الحارس: **(ينادي)** الجندي الجريح الباسل سياج الوطن المجني عليه إلى المحكمة.

الجريح: **(يدخل، وهو يلف ضمادة ملوثة بالدم على مسدسه).**

الشاعر: انظر إليه. أليس من الواضح انه ابن شرموطة؟

التابع: هذا هو المجني عليه.

الزوجة: **(تندفع إليه مهاجمة):** هذا مجني عليه؟ هذا الوحش الذي لا يشبع من الدماء؟ **(الحارس يمسك بها).**

القاضي: الزمي الهدوء يا امرأة. وكفاك عرقلة لسير العدالة.

الحارس صرنا نحتاج إلى شرطة مرور لتنظيم سير العدالة.

الجريح: هل ضايقكم تصرفها هذا؟ كيف لو رأيتموها كما رأيتها أنا؟ تبدو الآن كقديسة بالنسبة إلى ما كانت عليه عندما وقع الحادث.

الشاعر: يا للهول.

الزوجة: أنا واثقة من أنه لا يعرف كم ثدياً لأمه.

الجريح: هذا نموذج بسيط لما قاسيته منهما عندما وقع الحادث. ليتني أستطيع أن أريك آثار كلماتهما عندما وقع الحادث. لقد حطما كبريائي كأنهما ضرباها بفأس، ولطخا معطفي الجديد هذا بلطخ لن تزول إلا بدمهما.

الزوجة: ودماء الطفلين الباقيين. أليس كذلك؟

الجريح: هذا أتركه للعدالة. ولو كنتم موجودين عندما وقع الحادث لارتفع صوت العدالة أعلى فأعلى.

الزوجة: سيدي. إنه يطالب بدمنا لإزالة تلك اللطخ عن وشاحه الجميل هذا. ولكنني أؤكد له أنه ما من مصبغة بشرية في العالم يمكنها أن تزيل ما على وشاحه هذا من دماء الناس. **(متهكمة)** عندما وقع الحادث. عندما وقع الحادث. منذ دخلت هذه القاعة وأنت تقول وتتلعثم: عندما وقع الحادث. **(صارخة)** هيا انطق هذه الجوهرة. قل لهم ماذا جرى عندما وقع الحادث.

القاضي: صحيح. قل. فأنا شخصياً صار عندي شبق قضائي لمعرفة ما جرى في الحادث.

الجريح: لقد شتماني وضرباني بسنبلة.

القاضي: شتماك؟

التابع: وضرباك بسنبلة؟

الجريح: بل بسنبلتين يا سيدي.

التابع: وأنت بوشاحك الجميل هذا؟

الجريح: وهل كنت أقوم بواجبي عارياً يا سيدي؟

القاضي: هيا. تكلم في الموضوع مباشرة. يا للعار.

الجريح: **(وهو يمسح دموعه بكمه):** سيدي. إن الدنيا كلها غائمة في رأسي. بل كل شيء قاتم ولعين. كنت أقوم بواجبي في شارع مقفر. عندما سمعتهما يهتفان للمطر والحب. وكل ما فعلته عند ذلك أنني زمجرت قليلاً وطلبت بطاقاتهما الشخصية. فرفضا. أما الطفل فقدم لي

لعبته وهو يضحك. سيدي. إن ما حدث شيء لا يحتمل. وغوصي في الموضوع أكثر من ذلك يعني دماري دماراً كاملاً كفنان وكجندي مجهول. أطلقت الرصاص على الطفل دون أن أسيء بكلمة واحدة إلى والديه. فهشماني على أثر ذلك بالسنابل. **(يبكي ويتابع كلامه)** أتعرفون ماذا فعل هذا المجرم الخطير؟

الشاعر: أنا؟ ماذا فعلت؟

الجريح: انحنى على ابنه القتيل وحمله. تصور. حمله. نعم. وقد حاولت أن أمنعه من العبث بأدلة الجريمة. ولكن صراخ هذه الفاجرة ضيع لي صوتي. **(يسكت قليلاً لكي يتمالك نفسه)**. سيدي. لي رجاء واحد فقط. لقد ذكرت في إفادتي الأولى أن الحادث وقع في الربيع. إنني أريده أن يكون في الخريف. الخريف أجمل للحوادث. وأنا أحب الخريف.

الزوجة: أرأيتم كذبه؟ هو نفسه يعرف أن الخريف قد رحل.

الجريح: سيدي. أنا أرفض هذه الإهانات في المحكمة.

القاضي: لا تبتئس يا بني. فكرامتك سترد إليك وكأنها محفوظة في مصرف.

الجريح: أرجو أن تضيف أيضاً يا سيدي أن للمتهم صحيفة سوابق أنا أعرفها جيداً.

التابع: تعرفه قبل الحادث؟

الجريح: كان مسجوناً عندي. أنا كنت حارس السجن في الصحراء.

الشاعر: وتذكرتني؟ ألف شكر لك يا صاحبي. الملك لم يتذكرني.

التابع: الملك لم يكن سجيناً.

الشاعر: قل لهم. تذكر. ألا تتذكر كيف كنت أعيش معه في تلك الزنزانة؟

التابع: إلى متى تستمر هذه المهزلة؟

القاضي: كفى. أضف ما لديك إلى صحيفة سوابقه. ماذا كان يفعل في السجن؟

الجريح: كانت دوافعه المشبوهة مكشوفة منذ ذلك الحين يا سيدي.

التابع: قل. ماذا كان يفعل؟

الجريح: كان يحزن.

التابع: يحزن؟

التابع: وكيف كان الحزن يتسرب إلى السجن؟

الجريح: لا أعرف. ولكنني ضبطته أكثر من مرة وهو حزين. وفي المناسبات الوطنية المجيدة أيضاً. وضبطته ذات مرة حزيناً والعلم الوطني يرفرف من النافذة المطلة على السجن.

القاضي: هل تقر بهذه الجريمة النكراء؟

الشاعر: في تلك المناسبة الوطنية لم أكن حزيناً. كنت أرتجف من البرد.

الجريح: وماذا قلت يومها عن العلم؟

الشاعر: قلت ليتني أستطيع أن أشعل النار فيه لكي أتدفأ. أو أن أفصله قميصاً لأستر جسدي به.

التابع: العلم الوطني قميص لهذا الجسد المتسخ؟

التابع: يكفي. **(للجندي)** تابع.

الجندي: لم أعد أستطيع يا سيدي. إن التأثر الذي يتملكني كلما تذكرت الحادث يعيقني عن الكلام. حبذا لو أن سيادة القاضي يكمل عني.

التابع: **(للقاضي)** تابع القراءة.

القاضي: **(يتابع القراءة بحماسة)** وراحا يزعقان ويشتمان بينما الطفل القتيل الذي يتمتع بإحساس بريء وشعور عال بالمسؤولية ظل ساكتاً ملتزماً بقواعد السلوك المهذب التي لم تستطع هذه الأم الفاحشة ذات الألفاظ البذيئة أن تفسدها. وظل الطفل مكباً على وجهه..

الجندي: يقبّل تراب الوطن الغالي.

الزوجة: **(وهي تنشج)**: وظلت ساقاه منفرجتين وكأنه سيركب دراجة صغيرة.

التابع: **(يهز رأسه موافقاً، ويتابع)**: ما قيمة طفل بحجم العلبة بالنسبة إلى تلك الانتصارات المجيدة التي يحققها جيشنا العظيم؟ ألم تسمعا أخبار المعركة؟ لقد انتصرت الأميرة. ولكن معركة المجد تقتضي المزيد من التقشف في الدموع. علينا أن نقتدي بالغيوم التي تتقشف في أمطارها والينابيع التي تتقشف في مياهها. وعلينا أن نلتزم أقصى حدود الحذر بغية تحقيق أقصى حدود التعبئة. إن العشاق في المقاهي والغرف المغلقة يصيبون الوطن كله بالتراخي أمام الشدائد. وهم لا يتحدثون في خلواتهم أبداً عن أبطالنا الذين يستقبلون الشهادة وهم باسمون. ويسلمون أرواحهم وهم يقبلون تراب الوطن الغالي الذي ماتوا فداء له.

الزوجة: أنا لم أفهم شيئاً يا سيدي.

القاضي: ما هو طلبك الأخير؟

الزوجة: طلبي الأول والأخير: أريد طفلي يا سيدي.

التابع: بعد هذا الحديث المتفجر حماسة عن الوطن والعزة والصمود تتحدثين عن طفل تافه أصغر من جعبة على ظهر أي مقاتل.

القاضي: لقد أغلقنا هذا الموضوع.

الشاعر: ولكنك بذلك تغلق أفواهنا على الجمر.

الزوجة: إن هذا الطفل الذي تغلق عليه أوراقك يسكن في قلبي ولن يبرحه.

التابع: انفضيه من قلبك كما تنفضين القمل عن ثيابك أمام التنور.

الزوجة: ولكنه ابني. ولم أرضعه من سماعة الهاتف.

التابع: أنا لم أعد أستطيع تحمل هذه الثرثرة. أتسمين تلك الكتلة من اللحم المنتن طفلاً؟ إنه لا يزن ثلاث أقات بعد رضاعته.

الشاعر: حتى لو كان لا يعبئ العين. ولكنه كان يعبئ الروح. وخسارته تجرح القلب.

القاضي: ألم تقل إنك كنت تحلم بموت واحد من أولادك؟ لماذا هذه الضجة كلها إذن على موت ولد منهم؟

الشاعر: نعم يا سيدي. قلت ذلك. ولكنني كنت أحلم له بموت يثير الشفقة ولا يضعنا موضع الشبهات. كنت أريد لموته أن يطعمنا خبزاً لا أن يغرقنا بالخيانة.

الجندي: تعترف إذن أنه خائن؟

الشاعر: نعم يا سيدي. خائن. خائن لنا. لقد مات دون أن يؤمن لنا أو لأخوته أية لقمة.

التابع: بل أنت تريده أن يموت لكي تجد المبررات لإثارة الشغب وتعكير صفو الأمن.

الشاعر: أي شغب؟ لقد خرجت وزوجتي وأطفالي إلى الشارع متسولين نظرة عطف أو حب. هذا كل ما هنالك. لم نحاول حتى أن نتسول الخبز. وكان الصغير جائعاً. يبكي وهو يتطلع إلينا بعينيه السوداوين.

الزوجة: **(وهي تتنهد):** كانت عيناه سوداوين واسعتين وجميلتين.

القاضي: **(مهتماً ينظر إلى أوراقه)** بدأنا بالتزوير. كانت عيناه زرقاوين.

الجندي: نعم. كانت عيناه زرقاوين.

الزوجة: بل سوداوان.

الجندي: أنا الذي قتلته. وأنا الذي أقرر لون عينيه.

الزوجة: وأنا التي أنجبته وكنت أتطلع إلى عينيه وهو يرضع من صدري.

التابع: لا توقعي نفسك وزوجك في تهمة أخرى.

الزوجة: هل ستكون تهمة لو كانت عينا الطفل سوداوين؟

التابع: طبعاً. فنحن قد قررنا أن نلحق بركب الحضارة وننجب أطفالاً شقراً بعيون زرقاء لكي نثبت للأوروبيين المتحاملين علينا أننا لا نقل عنهم وسامة وجمالاً. ولكي نستطيع أن نقف على قدم المساواة مع الأمم المتحضرة.

الشاعر: فلتكن التهمة بالخيانة العظمى. عينا ابني سوداوان.

القاضي: ولكن المكتوب عندي أنهما زرقاوان.

الزوجة: **(تصرخ بضراوة)** لا.. تريدون أن تسكتوا على دم ابني. لا بأس. تستطيعون. ولكن لن تستطيع أية قوة في الدنيا أن تغير له لون عينيه.

القاضي: طيب. نستطيع أن نتحقق من الموضوع فيما بعد. كم كان عمره؟

الزوجة: ثلاث سنوات.

القاضي: ولكن المكتوب أمامي أن عمره سنتان.

الزوجة: تريد أن تكذبني في هذه؟ أنا أعرف أعمار العصافير التي غردت يوم ولادته.

القاضي: قلت سنتين ولن أضيف ساعة واحدة.

التابع: ولا ثانية.

الجندي: أنا أعرف عدد السنوات التي تهاوت بعد طلقة مسدسي. تظنين أنك تستطيعين المبارزة هنا وكأنك في سوق البالة؟ هذا طفل يا امرأة.

الزوجة: يريد أن يفهمني أنا أنه طفل. أنا التي حملته وأرضعته ونظفته وربيته. وأنت الذي لا تعرف الأطفال أو الطفولة. أشك أنك ولدت طفلاً. لا شك أنك ولدت وأنت تحمل فأساً لقطع الرؤوس.

القاضي: ومع ذلك فعمره سنتان.

التابع: إنه القانون. ولا استثناء أمام القانون.

الشاعر: يا سيدي. فليجلس القانون في حجري ويلف ساقاً على ساق. وليدخن نرجيلته أيضاً وهو يلعب الكونكان إذا شاء. قد تكون للقانون علاقة بالسياسة، بالاقتصاد،

بالرشاشات. ولكن ما علاقته بطفل صغير أو بعمره أو لون عينيه؟

التابع: **(للقاضي)** سجل أنه يستهين بالقانون ويسخر منه.

الزوجة: حدثوني مرة أخرى عن القانون وسأطير من النافذة.

القاضي: لن نقف عند هذه التفاصيل. سننسى مسألة العمر ولون العينين. انتهينا. الطفل قتل عن طريق الخطأ. انتهى الأمر.

الزوجة: وماذا يهمني إن كان قد مات عن طريق الخطأ أو بالآلة الحاسبة؟

التابع: **(متباهياً)** صار عندنا كومبيوتر. **(للقاضي)** فلننتقل إلى الدوافع.

القاضي: وهل ظل لدينا وقت للحديث عن الدوافع؟ الملك سيأتي بعد قليل.

التابع: **(للشاعر)** هل سنتحدث عن الدوافع؟

الشاعر: طبعاً سنتحدث عن الدوافع. إنني أعتذر لإضاعتنا وقت المحكمة الثمين.

القاضي: أضعنا الكثير من الوقت في المواضيع الجانبية.

الزوجة: لقد كان موضوع الطفل جانبياً بالفعل. **(تنوح)** كأنني قطفته عن شجرة. أو أخرجته من حاوية الزبالة مع بقايا الطعام التي نعيش عليها.

التابع: كفاك تشويشاً علينا بتأوهاتك.

القاضي: دعونا في الموضوع.

التابع: على الجميع أن يتحملوا المسؤولية ويقدموا نصيبهم من التضحية في هذه الظروف العصيبة. يكفينا لفاً ودوراناً كالسنونو. هيا تكلم في صميم الموضوع أيها المتهم.

الشاعر: صميم الموضوع يا سيدي أن ابني لم يقتل في اشتباك مع جنديكم الذي تحدثتم عنه. بل قتل وهو مع أمه يغنيان للمطر. ودفن في اللحظة ذاتها.

القاضي: وهذه الصفحات التي أمامي ماذا أفعل بها؟ هل أدفنها في أحد الأدراج؟ يجب أن تحاكم بموجبها.

الشاعر: ولكن لا صحة لها.

القاضي: لا يهمني إن كانت صحيحة أم لا. هذه أوراق رسمية وعليها أختام الدولة. وقد دونها رجال متخصصون يتقاضون رواتب من الدولة، ووضعوا لها حاشية وتاريخاً وأرقاماً متسلسلة.

التابع: إن شطب كلمة واحدة منها لا يختلف عن شطب وجهي بسكين.

الشاعر: وما علاقتي أنا؟

القاضي: نجلب متهماً آخر نحاكمه حسب هذه الأوراق؟

التابع: وهل القانون لعبة؟ أبداً. مستحيل. هذا هدر للأموال العامة. هذا الرجل هو الذي يجب أن يحاكم وفق ما في هذه الأوراق. وإنكاره للتهمة لا يعني شيئاً. المتهمون كلهم في محاكم الدنيا كلها ينكرون التهم في البداية. ثم تتلبسهم مثل السراويل وتلتصق بهم مثل القراد. لقد ضاع الكثير من وقت المحكمة الثمين. اقرأ الحكم وخلصني. سيأتي الملك بعد قليل ويجب أن يكون الحكم منتهياً.

القاضي: **(يقلب الأوراق، ثم يقرأ):** سنقرأ الحكم. **(يقرأ)** نظراً للإفادات الصريحة والوقائع الدامغة في هذه الجريمة

النكراء، موضوع الدعوى، وبعد الاستماع إلى كافة الشهود والمحامين، وتمحيص مختلف الإضبارات والاستمارات، وبناء على اعتراف المتهمين جميعاً اعترافات صريحة وواضحة لا لبس فيها ولا إبهام، قررت المحكمة إعدام المتهمين شنقاً تحت شجرة خريف جرداء في ليلة عاصفة. أما الطفلان الصغيران فنظراً لصغر سنهما سيعدمان ببندقيتين صغيرتين مزودتين بكاتمين للصوت لكي لا تخيفهما أصوات الطلقات.

الجندي: والحكم غيابياً على الخريف الذي يتحمل المسؤولية معه عن تلك الجريمة.

التابع: ولماذا تحكم على الخريف غيابياً؟

الجندي: لأنه هاجر دون أن يودعني. هرب من الوطن متسللاً سحابة في إثر سحابة.

التابع: فلنحاكم الشتاء بدلاً منه.

الشاعر: والشتاء هرب أيضاً ضاناً حتى بدموعه. فلم تنزل منه قطرة واحدة إلا بعد أن غادر الحدود.

التابع: يجب أن نعاقب أحداً ما.

القاضي: سنفرض الإقامة الجبرية على الصحراء. وعليها أن تتقدم وتثبت وجودها البريء في كل موسم.

التابع: وهذه الزوجة الماجنة؟

القاضي: تمنع الزوجة من البكاء على ابنها، ومن الحنين إلى أبنائها الآخرين أو إلى زوجها، ويمنع عليها الحلم بالرجل مهما كان نوع الحلم حتى ولو كان أن يجلب لها الخبز من الفرن منذ الآن وحتى تنفيذ الحكم فيها وفي زوجها.

كما يحرّم على الأطفال اللعب. ويتم التحفظ عليهم في أقفاص الأرانب الصغيرة. تحت رعاية الصحراء قراراً وجاهياً قطعياً غير قابل للنقض أو الطعن.

الجندي: سيدي. إنني لا أعرف فعلاً بأية لغة أهنئك. إن الإنسانية كلها والتاريخ بمجمله ملخصان في بضعة سطور.

القاضي: **(يلتفت إلى التابع معجباً بنفسه)** البلاغة في الإيجاز.

الشاعر: كان يجب أن لا تلقى هذه الدرر والنوافذ مفتوحة لكي لا تسرقها العصافير وتسلمها للأعداء.

القاضي: لست في حاجة إلى المديح. فرسائل الإعجاب تملأ إضبارات التحقيق. ولن يتغير موقفي من جريمتك النكراء ولو أمطرتني بمدائحك.

الشاعر: معاذ الله أن يخطر لي أنك ستغير موقفك يا سيدي. ولكنها القناعة المطلقة بما تقول وما لا تقول. هذه القناعة هي التي جعلتني أحلم الآن بالموت تحت المطر. حتى لو عز المطر المحلي وكان مستورداً أو مهرباً. **(ينهار على قدمي التابع وينتحب)** إنني لا أملك نفسي ولا أستطيع الامتناع عن البكاء.

القاضي: قف بعيداً. لسنا في حاجة إلى المزيد من الدموع.

التابع: عندنا مستودعات منها.

القاضي: نحن لا نريد أن نسبح في الأخطاء مرة أخرى.

(أصوات أبواق. الملك يدخل متهللاً فرحاً كالطفل).

الملك: كفى. فلتنهوا لي هذه المحاكمة. **(للقاضي)** انتهى عملك أنت. **(القاضي يحيي ويخرج)**. نحن الآن في نشوة النصر. لقد عادوا. عادوا منتصرين. والأميرة على رأس

الجيش. عادت منتصرة. **(باعتزاز وهو ينظر إلى الشاعر)** الانتصار. أيها التافه الحقير. أنت تتحدث عن البرد والقمصان الممزقة ونحن نصنع الأمجاد. أدخلوا عليّ ابنتي. أريدها أن تزف إليّ خبر انتصارها هنا في المحكمة. سيكتمل انتصار العدالة بأخبار انتصارنا على الأعداء.

الشاعر: أرجو أن تكون ابنتك وجيشها قد أعادوا المسروقات التي سرقت من ثروتنا الوطنية.

الملك: نحن تُسرق ثروتنا الوطنية؟ ما الذي سُرق؟

الشاعر: ابتسامات الأطفال.

(يتطلع الملك إلى التابع).

التابع: إنه يطلق الإشاعات المغرضة يا مولاي بقصد إرباكنا في لحظة العز هذه. ابتسامات الأطفال كلها محفوظة عندنا في الأرشيف. ولدينا سجل خاص بكل بسمة.

الشاعر: يجب أن تتفقدوها لكي لا تفسدها الرطوبة.

التابع: ومن أين الرطوبة؟ لم يعد يتحرك في سمائنا إلا الغبار.

الملك: وأنت نفسك تطلق مظاهرة وتقيم شغباً مع زوجتك وأهلك من أجل قطرة مطر.

الشاعر: قد ترطبها الدموع يا مولاي.

الملك: أنا منعت الدموع. لا دموع عندنا إلا دموع الفرح. وهذه تتبخر بحرارة ابتسامات العز والفخار قبل أن تخرج من العين **(الأميرة تقف بالباب. الملك يلتفت مرحباً)** أهلاً بفارستنا وصانعة أمجادنا. تعالي يا ابنتي. تعالي وحدثيني عن الانتصارات والأمجاد. هل لاقيتم مقاومة كبيرة؟

الأميرة: **(تدخل وتحيي كجندي معتز بنفسه)** جيش العدو لم يصمد أمامنا إلا جولة واحدة. هرب بعدها ليتحصن في القلعة. ولكنني كنت مصممة على إنهاء هذا الشغب نهائياً. فهاجمت القلعة.

الملك: **(بعطف)** ولكن.. ألم تكن مهاجمة القلعة مغامرة خطرة؟

الأميرة: طبعاً خطرة. ولكننا تسلقنا الأسوار بالحبال والسلالم كما فعلت أنت ذات يوم.

الملك: أنت تسلقت الأسوار؟

الأميرة: طبعاً. وإلا كيف كان الجنود سيستبسلون؟

الملك: **(يتطلع إلى التابع)** وتقول لي إن عضلاتها لينة؟ أكملي يا ابنتي. أكملي.

الأميرة: قتلنا الحراس وفتحنا الأبواب فاندفع الجيش إلى الداخل.

الملك: ماذا حدث لقائد القلعة؟

الأميرة: جلبناه مع الأسرى.

الملك: **(يكاد أن يرقص طرباً)** عظيم. عظيم. يجب أن أراه الآن. سيقف أمامي ذليلاً مهاناً بعد أن كان يطلق التهديدات ويتبجح بجيشه التافه.

الأميرة: حتى هو تافه. ولد. لم يستطع أن يقاومني.

الملك: احكي لي. كيف أسرته؟

الأميرة: يبدو أنه كان مطمئناً إلى قوة جيشه ومناعة أسواره. ولذلك كان في فراشه نائماً.

الملك: نائم في عز المعركة؟ ما هذا القائد التافه؟ تافه فعلاً.

الأميرة: لم يكن يتوقع أننا سنقتحم القلعة. **(وهي تضحك)** حين

اقتحمت عليه غرفته كان في فراشه عارياً تماماً وحوله جواريه عاريات مثله.

الملك: **(يتنحنح محرجاً)** ما كان يجب أن تدخلي إليه وهو في هذه الحالة. لو أرسلت بعض الجنود بدلاً منك.

الأميرة: لا يا أبي. القائد يجب أن يتصدى له قائد. وأنا كنت القائد. فتصديت له وأذللته.

الملك: كيف؟

الأميرة: اقتحمت عليه غرفته. فأصابه الذعر هو وجواريه. واندفع جنودنا البواسل يغتصبون الجواري والأميرات.

الملك: أمامك؟

الأميرة: طبعاً أمامي. أمامي وأمام القائد المهزوم.

الملك: وأنت. ماذا فعلت؟

الأميرة: بالقائد؟ قلت لك إنه كان عارياً في فراشه. لم أعطه فرصة تستير عريه. اندفعت إليه وهو في الفراش واغتصبته.

الملك: **(مصعوقاً)** ماذا؟

الأميرة: اغتصبته. يجب أن أكمل انتصاري وإذلالي له. ليتك تستطيع أن تتصور المنظر يا أبي. كلنا كنا نغتصب. أنا والضباط والجنود. هل تستطيع أن تتصور المنظر؟

الملك: **(مغمغماً)** أتصور. أتصور. أستطيع أن أتصور.

الأميرة: هذا أفضل درس تعلمته. والفضل لك يا أبي. اغتصاب العدو جميل فعلاً. ولولا اضطراري لمتابعة المعركة مع جنودي لاغتصبت شباب عائلته كلهم. على أية حال أخذ جنودنا الجواري والأميرات سبايا. وطلبت من الجيش أن يجلب الشباب كلهم سبايا أيضاً.

الملك: الشباب سبايا؟

التابع: تقصدين أسرى.

الأميرة: لا. بل سبايا. أسرى سبايا. **(للملك)** أليس هذا ما كنت تفعله حين تنتصر؟

الملك: **(ينزوي متألماً)**.

الأميرة: **(لا تنتبه إليه. تتابع باستمتاع)**. وبعد ذلك لم أسمح للقائد أن يرتدي ملابسه. أردفته أمامي على الجواد وجئت به عارياً.

الملك: وأين هو الآن؟

الأميرة: في غرفتي.

الملك **(يكاد أن يجن)**: وماذا يفعل في غرفتك؟

الأميرة: لا تخف. لن يستطيع الهرب. قلت لك إنه عار تماماً. لم أسمح لهم بإعطائه ملابس يستر بها نفسه.

الملك: وأين بقية الأسرى؟

الأميرة: موجودون. أقترح يا أبي أن توزع هؤلاء الأسرى السبايا على بنات المحاربين وزوجاتهم مكافأة الانتصار.

الملك: **(كأنه لم يسمعها)** إنني أحسد هؤلاء الأعداء على هزيمتهم.

الملكة: **(وهي تدخل)** هنيئاً لك انتصارك يا ابنتي.

الأميرة: **(تندفع إلى أمها)** أمي. هل عرفت بما فعلت؟

الملكة: عرفت. وسمعت عن أسيرك العاري. هنيئاً لك. **(تتطلع إلى الملك بشماتة مبطنة)** أليس هذا ما دربتها عليه؟ ألم تكن تريدها رجلاً؟ ها هي مواصفات الرجل تكتمل.

الأميرة **(منتشية):** يا ألله يا أمي. لو تعرفين ما هو شعوري بعد أن اغتصبته.

الملكة: أعرف يا ابنتي. أعرف. **(وهي ترمق الملك بطرف عينها) كنت أعرف.**

الأميرة: **(مندفعة في كل ما تفعله. تتطلع إلى الشاعر):** النشوة التي عرفتها حولتني بالفعل إلى يمامة.

الملك: **(لابنته وهو يتطلع إلى الملكة بحذر)** نشوة النصر. أليس كذلك؟

الملكة: لا أظن.

الملك: **(بإصرار):** بل نشوة النصر وقهر الخصم والتحكم فيه وإذلاله.

الملكة: هنيئاً لك نشوتك يا ابنتي. دعيه يطلق عليها ما يشاء من تسميات. أنت ابنة أمك. وقد سمعتك وأنت تقترحين على أبيك أن توزعي أسراك الشباب على بنات المحاربين وزوجاتهم. جميل أن تفكري في غيرك. **(ثم وهي تتطلع إلى الملك)** ولكن هل ستنسين أمك؟ ألن توزعي عليها أسيراً؟ يجب أن ينالني شيء من انتصاركم.

الأميرة: طبعاً. يجب أن تنالي حصتك من انتصارنا. ولكنني لاحظت يا أمي أن الأمير المهزوم قد تملكته نشوة مشابهة لتلك التي تملكتني. أيمكن أن يشترك العدوّان في نشوة واحدة؟ المنتصر والمهزوم؟

الملكة: طبعاً يا ابنتي. طبعاً. ولعلك ستعرفين نشوة أفضل في المستقبل.

الأميرة: حتى في هذه المرة شعرت أنني أستطيع أن أصل إلى

نشوة أفضل لو أنني تمكنت من خلع هذه الدرع التي تطبق على صدري. **(تقترب من الشاعر)** عرفت الآن معنى أن أتحول إلى يمامة. ولكنني كنت يمامة مسجونة في درع.

الشاعر: افتحي صدرك لتنطلق اليمامة يا أميرتي.

الأميرة: قد تكون محقاً. **(تبدأ بخلع الدرع)**. وعرفت أيضاً كيف أشعر أن الفراشات تحط على شفتي. شكراً لك.

الملك: **(صارخاً)** ابتعدي عنه. أرجعي درعك كما كانت. **(للشاعر)** ابتعد عنها. وكفاك إفساداً لها. هذه جريمة جديدة لم نحاسبك عليها بعد.

الملكة: **(تسحب الأميرة من يدها)** تعالي نتفرج على أسيرك العاري يا ابنتي.

الأميرة: انتظري يا أمي. بقي لي سؤال آخر أريد أن أسأل أبي عنه. **(للملك)** في اغتصاب هذا العدو يا أبي سال مني دم لم يسل مثله في المعركة كلها. هل كان يحدث معك مثل هذا؟

الملك: **(لم يعد يستطيع تمالك نفسه)** أبعدوها عني. اخرجي. ابتعدي عني.

الملكة: **(تلف ذراعها على الأميرة)** تعالي يا ابنتي. أنا اشرح لك الأمر. الرجال لا يعرفون هذه الأمور.

الأميرة: هل الأمر خطير؟

الملكة: لا يا ابنتي. بل الأمر طبيعي.

الأميرة: وهل سأنزف دماً كلما اغتصبت عدواً؟

الملكة: لا يا ابنتي. هي مرة واحدة فقط. ستستطيعين اغتصاب

العالم كله الآن دون أن تفقدي قطرة واحدة من دمك. تعالي سأحكي لك كل شيء.

الأميرة: هل تسمح لي يا أبي بالذهاب معها؟

الملك: **(مطرقاً وقريباً من الانهيار)** اذهبي معها. ستشرح لك كل شيء. هي تعرف أكثر مني فعلاً.

(تخرجان).

التابع: تريد مني شيئاً آخر يا سيدي؟

الملك: **(يتطلع إليه غاضباً وكأنه لم يره إلا الآن)** أنت الذي حدثتها عن الاغتصاب. أليس كذلك؟

التابع: يا سيدي.

الملك: **(لا يتركه يكمل. يقفز عليه كالوحش ويأخذ بضربه وعضه، وهو يطلق صرخات مزمجرة).**

التابع: **(يتخلص منه بصعوبة ويركض إلى الباب)** لم أفعل إلا ما أمرتني به يا مولاي. أنت طلبت أن نصنع منها رجلاً. والرجل هكذا. يقاتل وينتصر ويغتصب.

الملك: وما زلت تتكلم؟ سأجعل جنود الجيش كلهم يغتصبونك يا كلب. يا حقير. **(للحارس)** خذه بيدك وسلمه للجنود.

الحارس **(وهو يمتشق سيفه)** حاضر يا مولاي.

التابع: مولاي. أنا تابعك المخلص. أنا مدرب ابنتك. أنا الذي كنت أعمل باسمك الآن في المحكمة من أجل تحقيق العدل. لا يمكن أن تعاملني هذه المعاملة.

الملك: نفذوا كلامي. وبعدها نبحث في سجل خدماتك.

التابع: **(يخرج راكضاً. الحارس يلحق به. الملك يضع رأسه بين يديه وينفجر بالبكاء).**

الشاعر: لماذا تبكي يا مولاي؟

الملك: لأنني انتصرت في الحرب يا صديقي.

الشاعر: هي دموع الفرح إذن.

الملك: بل دموع النصر. إننا ننتصر أغرب انتصار في الدنيا.

الحارس **(يدخل متوتراً)** لقد انتحر التابع يا مولاي. لم أنتبه إليه إلا وهو يغرز الخنجر في صدره.

الملك: انتحر؟ كان ظني في محله. كنت أشتبه به دائماً. كم بذل من جهود لإخفاء حساسيته عني. كنت أشك فيه. الكلب. الحقير. كان يدعي أمامي أنه بلا كرامة. وإذا به يخفي عني كرامته كخنجر الاغتيال. **(يعود إلى وضع رأسه بين يديه).**

الشاعر: أظن أنك قد ظلمته وقسوت عليه.

الملك: **(يرفع رأسه وينظر إليه كأنه يراه لأول مرة)** معك حق. ليس هو المذنب.

الشاعر: طبعاً. حديثه عن الاغتصاب لا يمكن أن يؤدي إلى ما حدث.

الملك: أعرف. أقصد عرفت الآن. أنت السبب.

الشاعر: أنا يا مولاي؟

الملك: طبعاً أنت. أنت الذي أيقظت فيها المشاعر. أنت الذي حدثتها عن النهود والقبل والأجنة.

الشاعر: كيف توهمت أنك تستطيع أن تبعدها عن ذلك كله؟

الملك: كنت أريدها مقاتلة.

الشاعر: ولم يخطر لك أنك تستطيع أن تجعلها كذلك وهي امرأة؟

الملك: وهل تصلح النساء لهذا؟

الشاعر: طبعاً. والدليل أنها قادت الجيش وانتصرت. وزيادة على ذلك عادت امرأة.

الملك: **(ينظر إليه بحقد)** أرى نفسي الآن نمراً جريحاً في الغابة يجرؤ ثعلب ماكر مثلك على مجادلته.

الشاعر: **(يدير له ظهره وكأنه لم يسمعه، يطل من النافذة وهو يتابع كلامه)** مثلما توهمت أنك تستطيع أن تجعل الناس ينسون بطونهم وأبناءهم.

الملك: **(يرفع رأسه.. يرى الشاعر مطلاً من النافذة)** فيم وقوفك هناك؟

الشاعر: أتفرج.

الملك: ما الذي تتفرج عليه؟

الشاعر: شيء أراه ولا تستطيع أنت أن تراه.

الملك: وما الذي تراه؟

الشاعر: الشجرة قصيرة والظل طويل. إنه الغروب يا مولاي.

الملك: **(يقترب منه)** شجرة؟ لا أعرف بوجود شجرة هنا.

الشاعر: **(يشير إلى الخارج)** هؤلاء يا مولاي هم الشجرة. هؤلاء لم ينتصروا، ولم ينهزموا. هؤلاء يبحثون عن إمكانية أن يعيشوا.

الملك: أين هم؟ إني لا أراهم.

الشاعر: إن لم تستطع أن تراهم فاسمعهم.

الجميع: كلٌّ كيسه أو أطفاله على ظهره.

غجر في الصيف.

ورق أصفر في الشتاء.

القيثارات محطمة والأوتار مجدولة كالثوم.

تشتتوا في الأرض

لا دموع في العيون

ولا لحاء على الأشجار.

الشاعر: **(يلتفت إلى الملك)** الشجرة قصيرة والظل طويل. إنه الغروب يا مولاي.

الأصوات: يحيا المطر صديق الفقراء والجائعين.

الملك: عادوا إلى كلام المطر والجوع.

الشاعر: نعم يا مولاي. عادوا إلى حديث الجوع بعد انتهائهم من المعركة.

الملك: من أين أخلق لهم معركة كل يوم لأنسيهم هذا الكلام عن جوعهم؟

(الملك ينسحب مطرقاً. يتبعه الجميع ما عدا الشاعر والزوجة).

(المجموعة الفقيرة تدخل المسرح).

الجد: أرسلناك تتحدث باسمنا. هل نسيتنا؟

الشاعر: لا يا جدي.

الجدة: هل نسونا هم؟

الشاعر: هم لا يعرفون أننا موجودون.

الزوجة: تعلمنا شيئاً يجب أن نحفظه جميعاً.

الشاعر: نعم. فلنقرأ الدرس.

الزوجة: هم يملكون المشانق

الشاعر: ونحن نملك الأعناق

الزوجة: هم يملكون اللآلئ

الشاعر: ونحن نملك النمش والثآليل.

الزوجة: هم يملكون الليل والفجر والعصر والنهار

الشاعر: ونحن نملك الجلد والعظام.

الجد: **(يتقدم)** ومع ذلك فنحن ملوك العالم.

الجدة: بيوتهم مغمورة بأوراق المصنفات

الجد: وبيوتنا مغمورة بأوراق الخريف.

الشاعر: في جيوبهم عناوين الخونة واللصوص.

الجد: وفي جيوبنا عناوين الرعد والأنهار. **(يتطلع إلى الآخرين)** هم يملكون النوافذ.

المجموعة: ونحن نملك الرياح.

الجد: هم يملكون السفن

المجموعة: ونحن نملك العواصف والأمواج.

الجد: هم يملكون الأوسمة

المجموعة: ونحن نملك الوحل والتراب.

الجد: هم يملكون الأسوار والشرفات.

المجموعة: ونحن نملك الحبال والخناجر.

الزوجة: **(تتطلع إلى الشاعر)** والآن؟

الشاعر: **(يتقدم ويلف يده على كتفها)** هيا لننام على الأرصفة يا حبيبتي.

(يتقدم من مقدمة المنصة)

الشاعر: أيها السجناء في كل مكان.

ابعثوا لي بكل ما عندكم من رعب وعويل وضجر.
أيها الصيادون على كل شاطئ
ابعثوا لي بكل ما لديكم من شباك فارغة ودوار بحر.
أيها الفلاحون في كل أرض
ابعثوا لي بكل ما عندكم من زهور وخرق بالية
إلى عنواني في أي مقهى
في أي شارع في العالم.
إنني أعد ملفاً ضخماً
عن العذاب البشري
لأرفعه إلى الله
فور توقيعه بشفاه الجياع
وأهداب المنتظرين..

الجد: **(يتقدم بهدوء ليقف إلى جانبه)**
ولكن أيها التعساء في كل مكان
جل ما أخشاه
أن يكون الله أمياً.

النهاية

غني عن القول أن النص مشبع بمقتطفات من أشعار الماغوط. وكلام الزوجة مطعم بشيء من أشعار الشاعرة سنية صالح، زوجته.

صدر للمؤلف

مسرحيات

١ ـ **المخاض**، مسرحية شعرية
٢ ـ **محاكمة الرجل الذي لم يحارب**
٣ ـ **كيف تركت السيف**
٤ ـ **ليل العبيد**
٥ ـ **هملت يستيقظ متأخراً**
٦ ـ **الوحوش لا تغني**
٧ ـ **حال الدنيا**، مونودراما
٨ ـ **الخدامة**
٩ ـ **لو كنت فلسطينياً**
١٠ ـ **اللعبة**، مسرحية خاصة بالمعوقين جسدياً
١١ ـ **زيارة الملكة**
١٢ ـ **الزبال**، مونودراما
١٣ ـ **القيامة**، مونودراما
١٤ ـ **آكلة لحوم البشر**، مونودراما
١٥ ـ **الميراث**
١٦ ـ **حكايات الملوك**
١٧ ـ **القبض على طريف الحادي**
١٨ ـ **حكي السرايا وحكي القرايا**
١٩ ـ **القناع**
٢٠ ـ **سفر برلك**
٢١ ـ **الغول**، ١٩٩٦
٢٢ ـ **ريما**، ١٩٩٦
٢٣ ـ **الحمّام**، ١٩٩٦
٢٤ ـ **الكلاب**، مسرحيات قصيرة
٢٥ ـ **عادات مختلفة**